سرّي للغاية

الطريق إلى عتليت

مذابح الأسرى العرب في حربي ٥٦ و ٦٧

يسري فوده





سرّي للغاية

الجزء الأوّل

قناة الجزيرة

يضم الجزء الأوّل من سلسلة «سري للغاية» سبع حلقات من التحقيقات الجريئة الموثقة والدقيقة التي بثّتها قناة الجزيرة. وتتضاعف قيمة هذه الحلقات كونها تعالج مواضيع متنوعة مثل سقوط طائرة مصر للطيران، وفضيحة تهريب الأسلحة العربية إلى العراق، ومذابح الأسرى العرب في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧، والمؤامرات الخفية للماسونية، وانفجار السفارة الإسرائيلية في لندن... الخ.

وتكتسب سلسلة «سري للغاية» أهمية إضافية لأن المؤلف، يسري فوده، عزّز السلسلة بمزيد من الحقائق والأدلة والشهادات التي لم يتطرق إليها البرنامج التليفزيوني لأسباب مهنية مختلفة وذلك بأسلوب أدبي شيّق ومفهوم صحفي مميّز ندَر أن وقعنا على مثله في الإعلام العربي.

هـذا الكتـاب

«مهما كان رأيي تجاه بعض البرامج التي تقدمها قناة الجزيرة، فإنني أعترف بأن هذا البرنامج عمل فني فريد في غاية الروعة والمصداقية، يستحق الإعجاب والتقدير والشكر».

جلال دويدار، جريدة «الأخبار»

«لقد ملّ المشاهد العربي من القنوات التليفزيونية التي تضحك على عقله، لكن مبادرة الصحافي يسري فوده تعيد إلى المشاهد احترامه لذاته، وتدعو الآخرين إلى اقتفاء دروب العمل الصحافي التليفزيوني الحقيقي».

نبيهة وطّاس، جريدة «الشرق الأوسط»

«اكتسب يسري فوده شعبيته بفضل جرأته على تناول الصعب، ولقد اهتز الضمير المصري والعربي أمام هذه الحقائق التي كشف عنها هذا الصحفي لأول مرة بالأدلة الدامغة».

مصطفى بكري، جريدة «الأسبوع»

«هذا البرنامج، وفق معايير العمل التليفزيوني المتفق عليها، يقف شامخاً في مقدمة الأعمال التليفزيونية العربية، بل إن له أن يحتل مكانة متقدمة بين الأعمال الغربية المشابهة».

د. حسن عبد ربه، جريدة «القدس العربي»

«لقد طعننا يسري فوده في قلوبنا، وأسال من عيوننا دمعاً متحجراً، وأعطانا درساً إعلامياً ليتنا نستوعبه، وإذا أراد عبد الرحمن حافظ أن يشاهد البرنامج فأنا على استعداد لإهدائه نسخة فوراً ليعرف الفارق بين يسري فوده والآخرين».

أحمد كمال الدين، «جريدة الوفد»

«شكراً كثيراً للإعلامي يسري فوده».

أحمد رجب، جريدة «الأخبار»

يسري فوده

الطريق إلى عتليت

سرّي للغاية

قناة الجزيرة

الشركة العالمية للكتاب

الطريق إلى عتليت

إخراج: الشركة العالمية للكتاب
الغلاف: رينا قرانوح
طبع في لبنان

الطريق إلى عتليت، الطبعة الأولى
يسري فوده

الناشر: الشركة العالمية للكتاب
ص.ب. ٣١٧٦ بيروت لبنان
فاكس: ٣٥١٢٢٦ (١-٩٦١)
www.arabook.com
E-mail: info@arabook.com

ISBN 9953-14-038-3

The Road to Atleet
By Yosri Fouda

نبذة عن المؤلف

درس يسري فوده الإعلام في جامعة القاهرة وقام بتدريسه فيها بعدما عُيّن معيداً في قسم الإذاعة والتليفزيون عام ١٩٨٦، ومنها انتقل إلى الجامعة الأميركية في القاهرة حيث حصل على درجة الماجستير في الصحافة التليفزيونية وقام بتدريس أسسها فيها عام ١٩٩٢. وأثناء ذلك حصل على دبلوم الإنتاج التليفزيوني في معهد التدريب التابع للتليفزيون الهولندي، كما كان أول مصري يشرف على تدريب

العاملين في التليفزيون المصري في إطار اتفاقية التعاون بين مؤسسة «فريدريش ناومان» الألمانية واتحاد الإذاعة والتليفزيون في مصر. وفي عام ١٩٩٣ حصل على منحة من المجلس الثقافي البريطاني لدراسة الدكتوراه في جامعتي غلاسكو واستراثكلايد في اسكتلندا وكان موضوع الرسالة «الفيلم التسجيلي المقارن».

ثم انضم يسري فوده إلى تليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية BBC لدى إنشائه عام ١٩٩٤ واختير كأول مراسل متجول للشؤون الدولية قام أثناءها بتغطية حرب البوسنة ومسألة الشرق الأوسط. كما عمل أيضاً أثناء هذه الفترة التي امتدت حتى عام ١٩٩٦ مذيعاً ومنتجاً في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية في برامج الأحداث الجارية مثل «عالم الصباح» و«عالم الظهيرة» و«حصاد اليوم». وانتقل بعد ذلك إلى تليفزيون وكالة أنباء أسوشييتد بريس APTV حيث شارك في إنشاء قسم الشرق الأوسط، ومنذ إنشاء قناة الجزيرة، عام ١٩٩٦ عمل فيها مراسلاً مواكباً لشؤون المملكة المتحدة وغرب

أوروبا. وفي عام ١٩٩٧ شارك في إنشاء مكتب قناة الجزيرة في لندن الذي يشغل فيه الآن منصب نائب المدير التنفيذي.

بدأ منذ فبراير/شباط ١٩٩٨ في إنتاج برنامجه الشهري «سري للغاية» الذي حصلت أولى حلقاته على الجائزة الفضية لمهرجان القاهرة للإنتاج الإذاعي والتليفزيوني للعام نفسه، وحصل مجمل حلقاته على جائزة «الإبداع المتميّز» من الجامعة الأميركية في القاهرة عام ٢٠٠٠.

الـمحتويات

المقدمة

دق قلبي وانقبض انقباضةً غريبة، في لحظة بعينها، أثناء قيامي باستجواب ضابط الاستخبارات البريطاني الهارب العائد، ديفيد شيلر، في حلقة استثنائية أذيعت على الهواء من برنامج «سري للغاية» من لندن ليلة السابع من سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٠ وأنا لا أؤمن كثيراً بأمور الميتافيزيقا. وبعد انتهاء الحلقة دعوت زملائي في فريق العمل إلى مشروب على شرف ديفيد وصديقته، آني ميشون، وانضم إلينا زميلي في مكتب قناة الجزيرة

في لندن، مفتاح السويدان، والصحفي اليهودي من أصل يمني، يوسي أفيشاي، الذي كان قد ساعدني كثيراً على إنجاز تحقيقي في تعذيب الأسرى المصريين.

ثم دق هاتفي فكان ابن عمي يقول لي في صوت منكسر: «البقية في حياتك يا يسري». اسودت لندن في وجهي فجأة وكرهتها وكرهت التليفزيون وكرهت قناة الجزيرة وكرهت أصدقائي. كيف يمكن لمثلي يأتيه خبر أبيه وهو في «منفى اختياري» أن يغالب الدموع لأول مرة في حياته؟ وكيف يمكن لمثلي يحبسه عمله طوال حياته داخل دائرة من «الموضوعية» أن يكون موضوعياً في لحظة كهذه؟ لقد كان شأناً شخصياً زاد من شخصانيته علاقة خاصة جمعتني بهذا الرجل الطيب الذي لم يعش يوماً لنفسه ورضي أن يموت لنفسه بالسرطان دون أن يعلم به إلا طبيبه.

يتملكني إحساس بالعجز يكرس إحساساً بالذنب يكرس إحساساً بالعبثية. كم يمكن أن أدفع مقابل آخر

خمس دقائق من عمر أبي؟ ماذا كنت سأقول له؟ وماذا كان سيقول لي؟.. يقولون لي إنه حين كان يشاهدني على التليفزيون كان يصعد إلى عينيه بريق. وأعلم أنا علم اليقين أنه مات وفي صدره ألف رسالة لي. كم يمكن أن أدفع مقابل أن يتركني الزميلان أحمد منصور وأيمن جاده في تلك الليلة لخمس دقائق أخرى؟ ماذا كان سيقول لي أبي في آخر عشرين دقيقة رآني فيها؟.. عشرون دقيقة هي كل ما استطعت أن أقدمه له في عرس أختي بين حفل افتتاح مكتب «الجزيرة» في القاهرة وموعد الطائرة العائدة إلى لندن ليلة ١٧ أبريل/نيسان عام ٢٠٠٠. كم يمكن أن أدفع مقابل لقطة أخيرة مع أبي؟ أين كنت سأتخذ موضعي منه؟ عن يمينه؟ أو عن شماله؟ أو تحت قدميه؟.. يقولون لي إنه كان يحترم قناة الجزيرة ويحب برامجي ويتجنب الحديث عنها. وأعلم أنا علم اليقين أنه كان يتمنى أن أتركها وأعود لمصر كي أعيش في «سلام».

استأذنْتُكَ يا ولدي

أن أهبطَ في عينيكَ، ولا أخرج؛

فاعذرني
استأذنْتُكَ ألاّ أسألَ: «ما هذا؟»
استأذنْتُكَ يا ولدي
كي لا أصبحَ في وطني
منبوذا

* * *

وتداعبُني – أذْكُر –
تنْفُثُ في وجهي خيطَ دخان،
وتقول:
«لو تفعلُ يوماً يا ولدي.. لن تبقى ولدي»،
لكنّكَ تهفو،
وتلملمُ كفَّكَ فوق جبيني،
وتمر إلى إطراقة

* * *

أعلمُ أني لستُ وحيدَك،
لكنّكَ أنت وحيدي،
كفُّك وجبيني،
وعيونُك وعيوني،

أمْلكُ جِلْداً، وعظاماً، وفصيلةَ دم:
هل تكفي؟

يتملكني إحساس بالعجز يكرس إحساساً بالذنب يكرس إحساساً بالعبثية. ابتعدت عنه في شهوره الأخيرة ولم أكن أدري أنه يموت ولم يشأ هو لي أن أدري، والمقابل: «تحقيق مثير يستحق الإعجاب». ويتملكني إحساس غامر بالضآلة أمام لحظات الغضب التي كنت أتخذ منها، بروح من التحدي، وقوداً لحياتي. غضب مني مرةً حين غافلته وحولت أوراقي من القسم العلمي إلى القسم الأدبي في الثانوية العامة لأنه كان يريد لي أن أكون مثله طبيباً. وغضبت منه مرةً لأنه لم يكن يعير تفوقي الدائم في الدراسة أي اهتمام يذكر. وغضب مني مرةً حين رفضت أن ألحق به إلى السعودية التي أفنى بها ٢٣ عاماً من عمره القصير. وغضبت منه مرةً في سن المراهقة لأنه لم يزوجني «بنت الجيران». وغضب مني مرةً لأنني قدمت استقالتي من التدريس في جامعة القاهرة وقررت الرحيل. ثم توقفت عن الغضب منه،

ولكنه غضب مني مرةً أخرى عندما التحقت بقناة الجزيرة.

يومان لا حيلة لابن آدم فيهما: يوم ولد ويوم يموت. نختار عدا ذلك من نعم الله ما نختاره ونعتز باختياراتنا التي تصنع شخصياتنا وتميزنا عن الآخرين، ونكره كرْه العمى ما يُفرض علينا في الطريق. لكنّ ما يثير السخرية أن شيئين آخرين فُرضا علينا فرضاً هما في الوقت نفسه أعز ما نملك في الدنيا من جواهر وأحبها إلى قلوبنا: الأرض التي ولدنا عليها نحن وآباؤنا. فاللهم طهّر أرضي من الفساد واللهم اغفر لأبي وأسكنه فسيح جناتك.

وراء الخطوط المصرية

«اليوم، أيها المواطنون، بعرقنا.. ودموعنا.. وأرواح شهدائنا.. وجماجمهم، اللي ماتوا سنة ٥٦ من ١٠٠ سنة وهُمّه في السخرة، نستطيع أن ننمي هذا البلد. النهارده وإحنا بنستقبل العام الخامس للثورة، وزي ما طلع فاروق في ٢٦ يوليو سنة ٥٢، النهارده بتطلع قنال السويس في نفس اليوم، بنشعر إن إحنا بنحقق أمجاد لينا، بنحقق عزة حقيقية. لن تكون سيادة في مصر إلا لأبناء مصر. إحنا سنتجه قدماً إلى الأمام، متّحدين

متكاتفين. شعبٌ واحد يؤمن بنفسه ويؤمن بوطنه ويؤمن بقوته. شعبٌ واحد آلى على نفسه أن يعمل ويزحف زحفاً مقدساً نحو البناء ونحو التصنيع ونحو الإنشاء. شعبٌ واحد، كتلةٌ واحدة متراصة تقف ضد الغدر والعدوان، تقف ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار وألاعيب الاستعمار. سنشعر بالعزة، وسنشعر بالكرامة، وسنشعر بأننا نبني وطننا بناءً حقيقياً. زي ما إحنا عايزين، نبني اللي احنا عايزينه ونعمل اللي احنا عايزينه، ليس لنا شريك... والآن، وأنا أتكلم إليكم، يتجه إخوة لكم من أبناء مصر ليديروا شركة القنال.. الآن.. دِلْوقت.. بيستلموا شركة القنال.. شركة القنال المصرية، مش شركة القنال الأجنبية)).

الزعيم الراحل/ جمال عبد الناصر

٢٦ يوليو/تموز ١٩٥٦

ريّسنا ملاّح ومعدّينا

عامل وفلاّح من أهالينا

ومنا فينا الموج والمركب
والصحبة والريّس والزينة

كان عبد الحليم حافظ يغني لبطل الكرامة والحرية عندما افترى عليه بعضهم وافترى على الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فغنوا وراءه:

ريّسنا سفّاح ومعرّينا
قاتل ودبّاح يـ (....) فينا

لم يكن من بين هؤلاء طبيب مصري شاب كان يعمل مع بعثة الأمم المتحدة في مستشفى غزة الذي كان خاضعاً آنذاك، مع بقية قطاع غزة، للإدارة المصرية. جن جنون البريطانيين لدى الإعلان عن تأميم قناة السويس، ووجد الفرنسيون في ذلك فرصة للنيل من دعم الزعيم القومي لثورة الجزائر فيما لم يكن اليهود بحاجة إلى دعوة من بريطانيا أو فرنسا كما أثبت ذلك باحث إسرائيلي في كتابه الذي يحمل عنوان «إسرائيل تبحث عن حرب».

قصرت قامته وانحنى ظهره وضعف صوته وقد جاوز السبعين من عمره، لكن ذاكرة الطبيب المصري، أحمد الفنجري، أقوى من الحديد. بدأ البريطانيون والفرنسيون في قصف غزة من البحر، وفي تنسيق معهم دخل اليهود إلى المدينة من البرّ كي يفتحوا فصلاً جديداً من فظائعهم:

«أنا كنت في البيت عندما سمعت الميكروفونات تدور في الشوارع وتطلب من كل الرجال بين السادسة عشرة والستين أن يخرجوا من المنازل ويتجمعوا في ساحة وسط البلد، وتهدد بأن من يبقى في بيته سيعدم في الحال. خرجت مع بقية الأهالي، لكن الذي نجاني أن رئيسة الممرضات في بعثة الأمم المتحدة أشارت نحوي وقالت لليهود (هذا طبيب؛ لماذا تمسكون به؟) فخافوا منها، ورغم ذلك قسّمونا إلى ثماني مناطق. أنا كنت في منطقة (شموني)، يعني ثمانية، وهي منطقة الخطرين الذين سيعدمون.. هكذا، لمجرد أنهم يريدون إبادة الشباب. كانوا يأخذون كل من يرون فيه قدرة على

حمل السلاح ويلقون بهم إلى صحراء النقب حيث يتم إعدامهم». قاطعت الطبيب المصري وتحديته أن يعطيني دليلاً، فانفرجت أساريره كأنه كان ينتظر السؤال فاعتدل في جلسته قليلاً ثم قال: «آااه.. مرت شهور على اختفاء حوالى ٣٠٠ شاب ثم فجأة هطلت في ذلك العام أمطار غزيرة وسيول جرفت الجثث من صحراء النقب لغاية قطاع غزة فذهبت مع جميع الأطباء إلى منطقة تجمع الجثث، وفيما كنت أبحث بين الجثث المتعفنة التفت سمعي إلى صرخة مفاجئة من سيدة عجوز تولول (ابني.. ابني) فتجمّع الأهالي حولها في استغراب؛ إذ لم تكن أمامها جثة، والجثث على أية حال كانت مطموسة الملامح. وجدوها تمسك برِجْل خشبية لها قصة طويلة موجزها أن اليهود عندما دخلوا إلى غزة خشيت النساء على حُليّها ومصاغها فخلعته وطلبت من ابن هذه السيدة، الذي كان أعرج، أن يخفيه في رِجْله الخشبية. أخذت الأم تنبش داخل الرجل الخشبية حتى استخرجت الحُلي والمصاغ كله ونثرته أمامنا في ذهول. لقد كانوا جميعاً في عز الشباب أحياء، أخذوهم أمام

أعيننا أسرى مدنيين أحياء، وأعادتهم السيول إلينا هكذا.. جثثاً متعفنة».

على هامش بحثه في تاريخ إسرائيل مع العرب، أتيح لأحد دارسي الدكتوراه في جامعة حيفا عام ١٩٩٤ أن يكون أول من يطّلع على الوثائق السرية لوزارة الدفاع الإسرائيلية. الصدفة وحدها ألقت بين يدي موتّي غولاني بهذا الكنز. «ثم قالوا لي (لا، لن ننشره؛ لأن به أسراراً لا نريد للعالم أن يعرفها)، ومن حسن حظي أن الصحفي الإسرائيلي، عمير أورين، التفت إلى دراستي أثناء تنقيبه في الأبحاث العلمية فنشر أهم جانب منها وهو الجانب المتعلق بقضية إساءة الجيش الإسرائيلي معاملة الأسرى».

انتقلنا من منزل الباحث الإسرائيلي الذي أُجبر على الصمت إلى منزل الصحفي في جريدة «هاآريتس»، عمير أورين، الذي يقول إن الدراسة الموثقة لحساب قسم التاريخ في وزارة الدفاع الإسرائيلية ظلت حبيسة

الأرفف حتى صيف عام ١٩٩٥ عندما «كنت أتصفح عدداً من الأبحاث داخل القسم فوقعت عيني بعد حوالى ٦٠٠ صفحة، قرب نهاية الدراسة، على هامش صغير يتعلق بإساءة معاملة أسرى الحرب على أيدي أفراد من لواء المظلات، وقد اعتمد الباحث في توثيقه على محضر اجتماع لضباط المظلات برئاسة قائد اللواء أريل شارون وقائد الكتيبة رافاييل إيتان عُقد في أعقاب الحرب».

كشف الذي كان جندياً ثم ضابطاً قبل أن يكون مؤرخاً النقاب لأول مرة عن قيام قوات إسرائيل عام ١٩٥٦ بقتل خمسة وثلاثين أسيراً مصرياً في غربي سيناء لا حول لهم ولا قوة. أثناء هذا العدوان الثلاثي نزلت وراء الخطوط المصرية كتيبة مظلات إسرائيلية في منطقة ممر متلا. حين تقدمت وقع بين أيديها تسعة وأربعون أسيراً مصرياً وسودانياً من عمال الطرق المدنيين. استسلموا بجلابيبهم وسراويلهم. قُيدت أيديهم من الخلف. طُرحوا أرضاً. ثم أُفرغت رصاصة

أو رصاصتان في رأس كل منهم.. هكذا، في برود دم وبرود أعصاب. تقدمت الكتيبة بعد ذلك نحو الجنوب في اتجاه رأس سدر. في طريقها ذبحت أولاً ستة وخمسين جندياً ومدنياً عزلاً من السلاح داخل شاحنتهم.. هكذا، فتحوا النار من وراء الساتر القماشي في مؤخرة الشاحنة على من بداخلها دون حتى أن يضيعوا وقتاً في معرفة من كان بداخلها. يقول أحد جنود الكتيبة الإسرائيلية إنه بكى حين رفع أحد زملائه ما تبقى من الساتر القماشي كي يروا مشهد القتلى داخل الشاحنة. المصير نفسه لقيه مئة وثمانية وستون جندياً مصرياً آخرين أعلنوا استسلامهم بالقرب من رأس سدر. هذه الأرقام من الإحصاءات الإسرائيلية لا المصرية.

في مزرعته بالقرب من تل أبيب يهوى من كان أحد ضباط تلك الكتيبة تربية الخيول العربية. جسد مفتول العضلات لا يزال رغم مرور السنين، وعنق غليظ، ووجه صارم زاد من صرامته شج غائر من أثر المعارك

يشوّه نصفه الأيمن. ينتقي العقيد المتقاعد، داني وولف، كلماته أمام كاميرا قناة الجزيرة بمنتهى الحرص والتحفظ، لكنه يعترف ويحاول البحث عن مبررات: «كل من علم بها اعتقد أنها جريمة وأنها قبيحة، ولم أجد أحداً يوافق على ما حدث. ولكن الظروف التي أحاطت بنا كانت في غاية الخصوصية؛ إذ كنا ثلاثمئة من جنود المظلات على بعد مئتي كيلومتر خلف خطوط العدو. كان المصريون حولنا من جميع الاتجاهات، ولم تكن تصلنا إمدادات؛ ولم يكن لدينا سوى القليل من الماء والقليل من الطعام. أنا لا أحاول، ولا أريد أن يسيء أحد هنا فهمي فيظن أنني أوافق على ما فعله قائدي، ولكن البديل كان أن نلقي بهم إلى الصحراء كي يموتوا هناك».

«هذه محاولة للتبرير لا يمكن قبولها على الإطلاق، حتى في ظروف الحرب»، يقطع المحقق الصحفي في التليفزيون الإسرائيلي المستقل، يورام بنور، الطريق من أولها ويقتبس عن المقولة العربية «إن البدوي أخذ ثأره بعد أربعين سنة وقال: استعجلت»، ويضيف أنه «لا

يُتوقع من الناس بشكل عام، والعرب بشكل خاص، أن ينسوا ما حدث؛ فما حدث هو جريمة حرب، ما حدث له اسم في القانون الدولي: جريمة حرب».

مد العقيد المتقاعد يده نحو الطاولة واختطف علبة السجائر وبدأ يشعل سيجارة فيما كان يؤكد لنا في الوقت نفسه تسلسل القيادة في لواء المظلات الذي كانت كتيبته قطاعاً منه. كان قائده المباشر القاتل صاحب الضمير المعذَّب، الذي صرّح بعد فعلته تلك بأنه على استعداد لأن يفعلها مرةً أخرى، الجنرال المتقاعد إرييه بيرو الذي كان وقتها برتبة رائد. وكان قائد قائده صاحب السمعة السيئة، المرتبطة بمذبحة صبرا وشاتيلا، رافاييل إيتان. وكان قائد قائد قائده صاحب السمعة الأسوأ، المرتبطة بغزو لبنان واحتقار العرب، أرييل شارون. في سياق بحثي عن الحقيقة لا أتورع عن لقاء الشيطان؛ فما في القلب في القلب على أية حال. لكن بحوراً من الدماء وديناً وعروبة وقفت جميعاً حائلاً نفسياً هائلاً بيني وبين هؤلاء السفاحين. إن الجندي

الشريف يقتل للوصول إلى هدف عسكري في معركة عادلة، لكنّ هؤلاء قتلوا آباءنا وإخوتنا وأبناءنا لمجرد أنهم عرب مسلمون. هنا يتحول الأمر كله إلى قضية شخصية عرقية قومية دينية، وهنا لا أستطيع التفريق بين الصحفي والإنسان داخلي.

كلّفت مساعدتي الإنغليزية بمهمة الاتصال بهؤلاء الثلاثة. عادت إليّ كي تقول: «شارون» بجوار زوجته المريضة على سرير الموت، و«إيتان» شتمني وحذرني من معاودة الاتصال، و«بيرو» مات قبل عام. طلبت منها أن تنسى إيتان وأن تركز أولاً على بيرو ثم على شارون. بعد أسبوع ماتت زوجة شارون بالسرطان ودخل هو في حالة اكتئاب، ثم ألقت الصدفة البحتة بمفاجأة على مكتبي: بيرو لا يزال حياً يُرزق، وإن كان لا يفارق سرير المرض، في مستوطنة بالقرب من تل أبيب، لكن ابنته منعت عنه استقبال أحد أو الرد على الهاتف. دسست عليها صحفياً إسرائيلياً. حين علمت أننا نمثل قناة عربية أغلقت الهاتف.

أما هذا الـ «رافاييل إيتان» فهو جزّار حتى في سحنته وفي مشيته. حين سُئل إرييه بيرو إن كان قائده، إيتان، على علم وقتها بمذابح الأسرى المصريين في غربي سيناء رد بكلمة واحدة: «اسألوه». ورغم أن في الرد ما يكفي من الإيحاء، فإن الباحث الإسرائيلي، موتّي غولاني، يؤكد لنا بالدليل القاطع تورط إيتان في تلك المذابح. «أنا متأكد من أنه كان على علم.. بلا شك. لقد قالها بنفسه. قال إنه كان على علم بها. وقد توصلت إلى ذلك من واقع محضر اجتماع عُقد في لواء المظلات بعد أسبوعين على انتهاء الحرب اعترف أثناءه رافاييل إيتان بأنهم قتلوا الأسرى المصريين بحجة أن هؤلاء كانوا يتضاحكون عليهم ويهددونهم بأن زملاءهم في الجيش المصري سينقذونهم».

في بداية شهر أغسطس/آب من عام ١٩٩٥ كانت «صحوة ضمير» قد أصابت الجنرال المتقاعد، إرييه بيرو، فأفاض لبعض الصحف الإسرائيلية بتفاصيل المذابح. اعترف، وفي اعترافه إحساس عنصري وقح

بالفخر والبطولة بما فعله بأسرى مصريين لا حول لهم ولا قوة؛ «أنا ابن الهولوكست، فلتنظروا إليّ فقد أخذت بثأري». عندما سئل عمن قتل الأسرى بيديه قال:

- أحد الضباط وأنا.

* **هل ربطتم وثاق الأسرى قبل قتلهم؟**
- إنكم تسألون أسئلة غريبة، ولكن.. نعم ربطناهم.

* **كم كان عددهم؟**
- ليس لهم عدد معين.. لقد قتلنا مئات.

* **كيف كانوا قبل قتلهم؟**
- منهم من رقد على بطنه، ومنهم من وقف مذهولاً.

* **هل تعتبر ما فعلت جريمة؟**
- إن قتل المصريين كان واجباً، وإن أي مصري ابن عاهرة كان يعلم عنا شيئاً كان يستحق الموت.

* **هل حققوا معكم بعد ذلك؟**

- لا، لقد أصدروا قرارات ترقية للجنود والضباط جميعهم.

«أنا لا أستطيع تمثيل الجنرال بيرو، لكن مافعله كان جريمة، وكان رد فعله غبياً»، أخيراً يصف العقيد المتقاعد، داني وولف، بهذه الكلمات المباشرة، سلوك قائده آنذاك. وفي تلك الأثناء قاد أحد الفدائيين الطبيب المصري، أحمد الفنجري، تحت جنح الليل، من مستشفى غزة إلى مستشفى خان يونس. هناك صدم بأكوام من القتلى والمصابين بين عسكريين ومدنيين، ثلاثمئة على حد تقديره، لكنه لم يكد يبدأ في عملية الإسعاف الأولي لمن تبقت في صدورهم إشارة إلى روح.

هكذا يسحب الطبيب المصري حزمة عريضة من الهواء إلى صدره ثم يطلقها في زفير حار وهو يتذكر مغرورق العينين: «كنت وقتها أقوم بعملية نقل دم

لضابط مصري جريح، وفجأة انهالت علينا جميعاً داخل المستشفى طلقات الرشاشات من كل جانب. من كثافة الطلقات وانتشار الذعر وقعت على الأرض وانقلبت الأسرّة بمن كان عليها من جرحى مدنيين وعسكريين فوقي وغبت عن الوعي». يلفظ الرجل أنفاسه وتفر رغماً عنه دمعة لكنه يستطرد: «عندما أفقت أطبق على سمعي صمت رهيب كأنني في مقبرة. تحسست سائلاً لزجاً يحيط بي فاكتشفت أنني كنت أسبح في بحر من الدماء. تملكني الذعر فلم أستطع الوقوف على قدميّ. زحفت على بطني بين الجثث المبعثرة حتى وصلت إلى غرفة العمليات فوجدت جميع زملائي الأطباء قتلى في مشهد تشيب له الوِلْدان».

«كاديـما» يا مصري

«كل ما في أرض مصر وسمائها جريح:
البيت، الحقل، المصنع،أوراق الشجر، نسمات
الهواء، و الكلمة واللحن»..

هكذا يقدم الإذاعي الكبير المقرب من دوائر النفوذ في الستينات، جلال معوَّض، المرثية التي كتبها عبد الرحمن الأبنودي وغناها عبد الحليم حافظ غداة ما عرفنا بعد ذلك من محمد حسنين هيكل أنه «نكسة»

الخامس من يونيو/حزيران عام ١٩٦٧:

«عدّى النهار، والمغربية جيّه تتخفّى وَرا ضَهر الشجر،
و عشان نتوه ف السّكة شالت من ليالينا القمر،
و بلدنا ع الترعة بتغسل شعرها
جانا نهار ماقدرش يدفع مهرها
يا هل ترى الليل الحزين
أبو النجوم الدبلانين، أبو الغناوي المجروحين
يقدر ينسيها الصدى، أبو شمس بترش الحنين؟»

شُل طيران مصر في غضون ساعات قليلة وهو على بطنه و لم تعرف مصر. لأيام ظلت الرسالة الإعلامية من صاحب «صوت العرب»، أحمد سعيد، ومن غيره، خداعاً في خداع. خدعوا الشعب المصري وخدعوا الشعب العربي كله وهم يعلمون. وفي سياق ذلك لم يكونوا يعلمون أنهم هم بأيديهم الذين ألقوا بجانب من جنود مصر إلى التهلكة. إحساس بالاشمئزاز يتملكني

وأنا أستمع إلى أحد ضباط مصر المكسورين وهو يقص لي كيف أنه، وقد انقطع الاتصال بين وحدته في شرقي سيناء وقيادته في غربيها، اعتمد ومجموعته على «صوت العرب». في ثاني أيام الهزيمة كان العطش قد بلغ بهم مبلغه وهم يهيمون على وجوههم في الصحراء عندما أعلنت الإذاعة ذائعة الصيت أن فيالق مصر حاصرت الإسرائيليين في القطاع الأوسط من سيناء. تهلل الجنود فرحاً وعدلوا عن خطة الهرب عن طريق القطاع الجنوبي واتجهوا بدلاً من ذلك نحو القطاع الأوسط. حين بدأت ملامح المكان تختلط بسراب الصحراء الممتدة أمام عيونهم لم تكن هناك رائحة للفيالق المصرية. فجأة وجدوا الإسرائيليين فوق رؤوسهم من كل اتجاه. ثأر شخصي يجمع هذا الضابط المصري بعلم الإعلام المصري، أحمد سعيد، الذي كان السبب المباشر في وقوعه مع جنوده في أيدي اليهود.

هذه قصة وقوع جنود مصر كالذباب بعد رشةٍ واحدة في الأسر، يحكيها أربعة من جنود مصر يمثلون

الهرم التنظيمي للجيش المصري آنذاك، علماً بأن أحداً من هؤلاء الأربعة لم يلتق بأي من الثلاثة الآخرين ولا يعلم عنهم شيئاً:

الفريق سعد الدين الشاذلي (س.ش): كان وقتها برتبة لواء وكان مسؤولاً عن «المجموعة الخفيفة رقم ١ أو ما عرف بـ«مجموعة الشاذلي» المكونة من قطاعات مختلفة من الجيش المصري وعدد أفرادها حوالى ١٥٠٠ جندي وضابط، وكانت تتمركز حينها في جنوب شرقي سيناء. كانت مهمة الشاذلي حراسة المنطقة الواقعة بين المحورين الأوسط والجنوبي لسيناء على بعد عشرين كيلومتراً من الحدود الفلسطينية. استُدعي إلى هذه المهمة قبل أسبوعين فقط من بداية الهجوم الإسرائيلي، وفي أثناء هذين الأسبوعين تغيرت المهمة الموكلة إليه ثلاث مرات.

النقيب محمد حسين يونس (ح.ي): تخرج من كلية الهندسة جامعة عين شمس والتحق بالخدمة العسكرية

ضابطاً ضمن سلاح المهندسين. كان وقتها من ناحية التدرج القيادي في الصف الثاني بعد قائد وحدته المتمركزة في منطقة الحسنة الواقعة إلى الجنوب من العريش شرقي سيناء. كان ضمن مجموعة الضباط الذين اجتمع بهم قائد الجيش المصري، المشير عبد الحكيم عامر، يوم ١٦ مايو/أيار ١٩٦٧، أي قبل الهجوم الإسرائيلي بتسعة عشر يوماً. في ذلك الاجتماع أعلن عامر أن لدينا «أقوى سلاح طيران في الشرق الأوسط» وقال قائد السلاح، صدقي سليمان: «آمين».

صف الضابط أمين عبد الرحمن (أ.ع): جيء به من اليمن مع مجموعة الضباط والجنود الذين تم سحبهم من هناك في أعقاب التصعيد السياسي والإعلامي بين مصر وإسرائيل تحسباً من نشوب معركة. كان ضمن وحدات خاصة من سلاح المشاة الذين وصلوا إلى السويس ومن ثم إلى شرقي سيناء قبيل بدء الهجوم الإسرائيلي.

الجندي رمضان حامد عراقي (ر.ع): التحق بالخدمة العسكرية ضمن سلاح الإشارة عام ١٩٦٤ ثم انتقل بعدها بعام إلى تشكيل اللواء السادس مشاة كسائق سيارة لاسلكي. تحرك مع التشكيل من ألماظه إلى فايد إلى العريش إلى رفح. كان في منطقة الماسورة في رفح في أقصى الشمال الشرقي لسيناء عندما بدأ الهجوم الإسرائيلي.

في اليوم السابق، الرابع من يونيو/حزيران، فوجئ الشاذلي بزيارة قام بها إليه ضابط اتصال من قيادة سيناء. كانت الرسالة أن طائرة هليكوبتر ستهبط الساعة السادسة من صباح اليوم التالي، الخامس من يونيو/حزيران، كي تقله إلى مؤتمر عسكري عاجل مع المشير عبد الحكيم عامر في مدينة فايد بالقرب من الإسماعيلية. وصلته أنباء الهجوم الإسرائيلي وهو هناك فكيف يعود وقد أصبحت سماء سيناء كلها إسرائيلية؟ رغم ذلك صمم على العودة بسيارة «جيب» خفيفة من أقصى الغرب إلى وحدته في أقصى الشرق فوصل

إليها قبل المغرب بحوالى ساعتين.

س.ش: قمت على الفور بتنظيم صفوف المجموعة وتقدمت بهم عشرين كيلومتراً نحو الشرق واخترقت الحدود الفلسطينية لمسافة خمسة كيلومترات أخرى حيث كنت أعلم أن هناك بئراً يمكن أن نشرب منها تقع بين جبلين يمكن أن نحتمي بينهما. اطمأن مقام المجموعة في هذه المنطقة قبيل حلول الظلام، ورغم أن الطائرات الإسرائيلية اكتشفت وجودنا فإنها لم تستطع أن توجه ضرباتها إلينا؛ وذلك لأن الطيار يحتاج إلى أن يكون الهدف واضحاً أمامه على بعد عشرة كيلومترات قبل أن يوجه ضربته إليه، وهو ما لم يتمكن الإسرائيليون منه بسبب تمركزنا بين الجبلين.

ر.ع: ليلة المعركة، ٤ يونيو، طلعت مع ضابط استطلاع إلى منطقة بني سلامة على الحدود الفلسطينية فتأكدنا من أن الإسرائيليين سيهجمون علينا صباح

الغد. اتصل الضابط بالقيادة العامة وأبلغهم بالأمر. نمنا مطمئنين وأفقنا على الهجوم الإسرائيلي. في خلال لحظات انتهى الموقف بالنسبة لنا. أخذ الجنود والضباط يفرون في كل اتجاه بينما كانت الدبابات الإسرائيلية تغلق المجال أمامنا. لم تكن هناك حماية، لا جوية ولا أرضية. أصبحنا كأننا وقعنا في مصيدة فئران. انسحبت مع أحد زملائي عن طريق الجبل الموازي لطريق رفح/العريش، وبالقرب من العريش رأينا دبابة كنا نحسبها مصرية. تقدم زميلي نحوها فأطلقوا عليه النار فخلعوا إحدى رجليه. «كاديما يا مصري»، هكذا صاحوا بي، فهمت بعد ذلك أنها تعني «تعال يا مصري». أخذوني وتركوا زميلي يلفظ أنفاسه الأخيرة في الصحراء.

أ.ع: أول شيء فعلوه بنا أنهم أجبرونا على خلع ستراتنا والوقوف تحت نار الشمس. وبعد حوالى ثلاث ساعات بدأ بعضنا يتأوه من العطش. جاءوا بشاحنة مياه وقفت أمامنا ثم تقدم جندي إسرائيلي وفتح

صنبورها أمام أنوفنا. لم نكد نهرول نحوها حتى أشهروا أسلحتهم في وجوهنا كي نتراجع. بعد قليل جاء ضابط إسرائيلي وصرخ فينا باللغة العربية: «أليس لديكم احترام للتقاليد العسكرية؟ الضباط أولاً». نظر بعضنا إلى البعض الآخر قليلاً وسرعان ما تقدم الضباط لإرواء عطشهم، وما كادوا يفعلون حتى أطلق الإسرائيليون نيران مدافعهم الثنائية والرباعية (ذ.ح) عليهم وهم يرشفون آخر قطرة ماء في حياتهم. التهبت حماستنا فنسينا العطش وقفز بعضنا، مكتوفي الأيدي، فوق الإسرائيليين، فأمسك هؤلاء بهم وأجبروهم على خلع ألبستهم كلها وربطوا كلاً منهم بسلك من رقبته وثبتوهم في جذوع الأشجار قبل أن يحملوا من تبقى منا في شاحناتهم.

ح.ي: يوم ٦ يونيو/حزيران عرفت من قيادة الجيش أن العريش وقعت وأبو عجيله وقعت وأنهم في طريقهم إلى الكيلو ١٦١. عندما استيقظنا بحثنا عن رئيس

العمليات وقائد الكتيبة فلم نعثر لأي منهما على أثر. هربوا، «طفشوا»، هكذا دون حتى أن ينصحونا بالهرب على مسؤوليتنا الشخصية.

س.ش: هذا الكلام في غاية الخطورة، وإذا كان هذا الضابط قد صرح به فينبغي على وزارة الدفاع أن تحقق في شأنه وأن تعرف من كان قائد الوحدة ومن كان رئيس العمليات ولماذا اختفيا هكذا فجأة.

ح.ي: قائد الوحدة اسمه الرائد رفعت حنور، ورئيس العمليات اسمه الرائد خلف الله إمام خلف، وعندي مزيد من المعلومات إذا أردت.

ر.ع: ربطوا ذراعي خلف ظهري ودفعوني بأقدامهم كي أمشي وحدي لمسافة كيلومتر واحد من العريش حيث نقطة تجميع الأسرى. هناك وجدت الأسرى المصريين منبطحين على وجوههم، وفي تلك اللحظة تذكرت كلمة قالها لي يوماً ما ابن عمتي

الذي كان شارك في رد العدوان الثلاثي سنة ٥٦.
قال لي وقتها إنهم كانوا يطرحون الأسرى المصريين على وجوههم ثم يدوسون عليهم بالدبابات.

أ.ع: والدبابة تدوس على سطر. تدوس على بشر وتكسّر عظامهم وهم أحياء ينظرون.
رأيت ذلك بعيني في منطقة الحسنة. كانوا يطرحون الأسرى على بطونهم في كل صف ١٥ بني آدم والدبابة تمشي على ظهورهم. وإذا تحرك أحدهم كي يتجنب جنازير الدبابة يأتون به ويضعونه على صدرها ثم تأتي دبابة أخرى تضربه وهو في هذا الوضع. دبابة تدخل في دبابة كي «تفرقع» بني آدم.

ر.ع: رأيت هذا المنظر فأدركت مصيري. دفعني أحدهم نحو الأرض صارخاً: «نم هنا بجوار أصحابك».
كان هناك حوالى أربعة أو خمسة صفوف من الأسرى المنبطحين على بطونهم وفي كل صف حوالى خمسين، وكثير منهم كان غارقاً في دمائه.

وتلتف حول الصفوف أربع دبابات، واحدة من كل اتجاه. إعدام إعدام. قرأت الفاتحة على روحي وشهدت أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

ح.ي: خرجنا من الحسنة على طريق القُسيّمة. طلعنا فوق جبل. الشمس حامية في عز الصيف و لم يعد معنا ماء. استوقنا الأعراب وأعطونا ماء وأكلاً وقالوا لنا: «لماذا تخافون؟ كونوا رجالاً وابقوا في طريق الجبل. لن يستطيع اليهود أن يمسكوا بكم هنا، وستجدون ماعزاً في طريقكم، كلما جعتم أو عطشتم اذبحوا وكلوا واشربوا». وفعلاً، بعد قليل وجدنا قطيعاً من الماعز هرولنا وراءه في منظر مضحك حتى أمسكنا ببعضه. لا أستطيع أن أنسى هذا المنظر: منظر عين المعزاة وهي تنظر إليك، في البداية تقاومك ثم حين تضع ضرعها بين شفتيك تمتلئ نظرتها حناناً كأنها تعتبرك ابنها.

س.ش: أقول الحمد لله الذي لم يكتب لأي من جنودي

أن يقع في الأسر. لقد نشرت ابنة موشى ديان بعد ذلك كتاباً قالت فيه إن أباها، الذي كان وقتها وزيراً للدفاع، كان يصرخ في جنرالاته: «خلوا بالكم من مجموعة الشاذلي فقد تظهر أمامكم في أي لحظة». وذلك لأنهم فجأة لم يعثروا لي على أثر، ثم فجأة وجدوني عند بطن جبل فلم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً فاكتفوا بـ«زيارتي» بطلعات جوية يوم ٦ ويوم ٧، ثم فجأة لم يعثروا لي على أثر بعد ذلك.

أ.ع: وحدتنا سلّمت لأنها لم تكن تملك إمكانات المقاومة. وبمجرد استسلامنا قتلوا قائد الكتيبة، ثروت عازر خيل، ثم قتلوا قائد سريّتي، محمد ممدوح عبد الحميد، وقائد سرية المدفعية، محمد أحمد البُطة، ورقيب أول السرية عبد اللطيف أحمد العايدي، صديقي من المنوفية الذي رفض أن يخضع لأوامرهم. كانت الشرائط على الأكتاف تبين الرتبة. وكان بعضنا يخلع هذه الشرائط لكن الإسرائيليين كانوا يعرفون رتب الجنود والضباط من

الأثر الذي تتركه الشرائط المخلوعة على الأكتاف وكذلك من ملابسنا الداخلية. قالوا سنأتي لكم بدفتر وقلم كي يكتب كل منكم اسمه قبل أن نسلمكم للصليب الأحمر. ومن هنا فرّقوا بين المتعلم والأمي وتأكدوا من الرتب. كل من قام لتسجيل اسمه ضربوه بالنار على الفور حتى أنه لم يبق سوى مجموعة الجنود العاديين منكسرين «حالهم يصعب على الكافر».

ح.ي: الراديو بيقول: «خلاص حاصرناهم في الطريق الأوسط». كلام أحمد سعيد في «صوت العرب»، أشياء غريبة كان يقولها. وبالطبع هذا ضللنا؛ لأننا كنا على الطريق الجنوبي واتجهنا بناءً على ذلك إلى الطريق الأوسط. قبيل المغرب وجدنا سيارة مدرعة مصرية مهجورة ركبناها، وما أن بدأنا نسير بها حتى وجدنا طائرة تحوم فوقنا على ارتفاع منخفض جاء على أثرها طابوران من الدبابات والمدرعات التفت حولنا: «سلّم يا مصري، سلّم يا مصري».

س.ش: يوم ٧ حصل اتصال مع القيادة العامة، ليس مع قيادة سيناء التي انقطع اتصالنا بها تماماً. قالوا لي: «لماذا تقبع حتى الآن بين هذين الجبلين؟ انسحب فوراً فقد انسحب الجيش كله». كانت هذه أول مرة أعرف فيها مستوى الهزيمة. تملكني القلق على سلامة ١٥٠٠ روح في ذمتي. كيف أنسحب من داخل الحدود الفلسطينية وأعبر بهم سيناء كلها ثم أعبر بهم قناة السويس إلى الشاطئ الغربي دون غطاء جوي ولا حماية أرضية ولا حتى مؤونة من الطعام والشراب تكفيهم جميعاً؟ استخرت الله حتى اتخذت قرار الانسحاب بعد غروب شمس يوم ٧. قطعنا مسافة تزيد على مئة كيلومتر طوال الليل، لكن الطائرات الإسرائيلية لحقت بنا مع بزوغ شمس يوم ٨.

ح.ي: قام أقدم ضابط بيننا، كان مثلي برتبة نقيب، ورفع منديلاً أبيض. لمونا تحت أسلحتهم و سألونا: «أين الضباط وأين الجنود؟». اختبأ بعض الضباط بين الجنود وانتحيت أنا مع البعض الآخر وأعلنا عن

أنفسنا. تقدم الإسرائيليون نحو الجنود وبدأوا يجهزون رشاشاتهم لقتلهم، وهنا نهض الضباط المختبئون بينهم وقالوا: «نحن ضباط». أتوا بهم إليّ فقلت: «نعم، هذا ضابط، وهذا ضابط». اتجه الإسرائيليون مرةً أخرى نحو الجنود ووجهوا رشاشاتهم، فصرخت بهم: «ماذا ستفعلون؟ أرجوكم لا تقتلوهم». وبينما كنت أتوسل إليهم وصلت سيارة «جيب» خفيفة نزل منها ضابط إسرائيلي تحدث إلى جنوده بالعبرية. بعدها أمرونا بالنهوض والتوجه نحو شاحنات النقل. ونحن في الطريق اقترب مني جندي إسرائيلي وحملق في وجهي وسألني باللهجة المصرية: «هل أنت من منطقة الضاهر؟». صعقني السؤال فنظرت إليه وأجبت: «نعم» وأنا ما زلت مندهشاً. أدرك هو دهشتي فقال: «أنا كنت زميلك في المدرسة». سألته: «ماذا ستفعلون بنا؟». قال وهو يطمئنني: «أنتم محظوظون؛ فقبل حضور هذا الضابط كانت الأوامر أن نقتل الأسرى ولا نأخذ إلا عدداً قليلاً

جداً. الأوامر الجديدة هي أن نأسر كل من يقع في أيدينا».

ر.ع: اقتادوني بعد ذلك مع حوالى ٣٠٠ أسير إلى مطار العريش. وضعونا في دار تبيت فيها الطائرات مساحتها حوالى ٣٠ متراً في ٣٠ متراً. عندما دخلنا وجدنا مدنيين من كافة الطوائف العمرية وأيضاً من النساء. ولكنهم قبل أن يسمحوا لنا بالجلوس أتوا بأجولة مليئة بالأسمنت. أمرونا بفتحها في جميع الأرجاء حتى امتلأت الدار عن آخرها بهذا الأسمنت، ثم قالوا لنا: «اجلسوا داخل الأسمنت».

س.ش: ارجع إلى التوراة. تقول لهم التوراة في الإصحاح رقم ٢٠ من سفر التثنية ما يلي: إذا تقدمتم لتحاربوا مدينة فاعرض عليها الصلح، فإن قبلت فلك أن تعتبر كل سكانها عبيداً لك. أما إذا رفضت فحاصرها، فإن استسلمت وكانت من المدن القريبة (وحددها في ست مدن تمثل الآن منطقة

الشرق الأوسط) فاقتل سكانها جميعاً ولا تبق على وجه الأرض نسمة منهم، وإن كانت من المدن البعيدة فاقتل الرجال واغتنم نساءهم وأطفالهم. هذه طبيعتهم وهذا هو دستورهم الذي يحدد لهم علاقتهم بالأسير الذي استسلم ولا حول له ولا قوة. عليك إذاً أن تتوقع من إسرائيل كل شيء سيئ، كل شيء سيئ.

أ.ع: أهناك أكثر من أنه كان يأمرني بخلع ملابسي كلها والانبطاح أمام دبّابة عارياً إلاّ أحياناً من «الشورت»؟ كيف أقاوم وأنا هكذا والدبّابة أمامي وهو فوق رأسي بالرشاش والعربات المجنزرة حولنا من كل اتجاه؟ أنطح الدبّابة؟! بالطبع كان واضحاً لهم من البداية أنّنا استسلمنا على أمل أن يعاملونا باحترام الآسر للمأسور، لكنهم كانوا يتلذّذون بتعذيب الأسرى، كانوا يتلذّذون.

ح.ي: نعم، لقد عاملوا الجنود وصفّ الضباط معاملة في

منتهى السوء. عاملوهم معاملة الماشية، وعندما كانوا يقتلونهم قتلوهم كما تُقتل الكلاب. أما الضباط فقد صنفوهم إلى فئات مختلفة كما بان لي فيما بعد.

ر.ع: «بدّك ميه؟».. إذا رد الأسير: «نعم» يقولون له: «تعال». يأخذونه ويفرغون في رأسه ثلاث طلقات. يموت في الحال، مع السلامة.

ح.ي: نحن كنا ١٠٠ جندي وضابط لم ينهض منا سوى حوالى ٥٠. الباقون تركوهم هكذا بين قتيل وجريح. القتلى لم يدفنوهم، والجرحى تركوهم ينزفون تحت لهيب الشمس في الصحراء.

ر.ع: أنا رأيت بعيني حوالى ستة أو سبعة كادوا أن يموتوا من العطش، وحين تجرأوا على طلب «شربة» ماء قتلوهم بالطريقة نفسها أمام أعيننا وأمام أعين المدنيين الذين كانوا يبكون من الحسرة وقلة الحيلة.

س.ش: لم أفكر إطلاقاً في الاستسلام. كان كل همي أن أتعامل أثناء انسحابي مع الطيران الإسرائيلي بحكمة في حدود ما كان متاحاً لي من إمكانات، وقد كانت هذه بالغة التواضع في ظل ظروف بالغة القسوة. مع بزوغ شمس يوم ٨ يونيو/حزيران كان الله قد وفقنا في قطع الجانب الأكبر من المسافة ولم يتبق على الإسماعيلية سوى حوالى ٩٠ كيلومتراً. ولكن الطائرات الإسرائيلية أدركتنا وبدأت توجه ضرباتها إلينا. كنت أتوقع ذلك، فقمت بتنظيم قواتي بصورة لا تتيح لهم إيقاع خسائر كبيرة بنا في الطلعة الواحدة بالإضافة إلى احتفاظنا بذخيرة مضادة للطائرات مكنتنا من الوصول بإذن الله إلى بر الأمان ولم تتعد خسائرنا في النهاية أكثر من عشرة بالمئة من الشهداء والمعدات، ولا أسير.

أ.ع: في أثناء نقلنا من الحسنة استطعت الفرار من الأسر واختبأت بين الجبال في طريق العودة غرباً. ولكنني لم أكد أن أصل إلى خط القناة حتى اكتشفتني مدرعة

إسرائيلية يوم ١٥ يونيو/حزيران. عندها تبخر أملي تماماً في العودة. حمل جندي يهودي بندقيته وسددها ناحيتي، لكن الله كتب لي عمراً جديداً حين أتى من خلفه ضابط أشقر السحنة أنقذ حياتي. شحنوني مع بقية الأسرى إلى مكان خارج سيناء عرفت فيما بعد أنه «بئر سبع».

ح.ي: سلمت ما كان معي من نقود إلى الضابط الإسرائيلي المسؤول، فبدأ يتحدث معي.

سألني أولاً: «ما رأيك في ما حدث؟»، فلم أرد. سألني ثانياً في تهكم: «أما زلت تحب عبد الناصر؟». وهنا لم أستطع السكوت رغم أنني لم أكن قط من عشاق عبد الناصر. قلت له: «نعم، ما زلنا نحب عبد الناصر، وسنبقى نحبه ونحترمه؛ لأنه فعل لنا الكثير». اقترب أحدهم مني وخطف من على عيني نظارة شمسية كنت أعتز بها ورمى بها إلى أحد زملائه. كانت هذه النظارة الشيء الشخصي الوحيد

الذي سُرق مني وكلما تذكرتها يتملكني حزن عميق.

احمر وجه الضابط المصري وهو يقص لي حكايته مع تلك النظارة. سألته: «لماذا؟» فتراجع قليلاً وأشار إلى صدره وقال: «هذه ملكيتي الشخصية. أحدهم اغتصبها منك رغماً عن أنفك و لم تستطع الدفاع عنها و لم تستطع أن تنطق كلمة واحدة». وهنا ألقيت عليه بقنبلة أصابته في عمق الجرح الذي لم يهدأ بعد. سألته: «إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للنظارة، فما بالك بالأرض؟». لكنه لم يفكر في الرد بل عاجلني بسؤال آخر وهو يتحاشى النظر في عيني: «فما بالك بالوطن كله؟ لكن النظارة على الأقل تخصني أنا شخصياً، أما الوطن فيُسأل عنه آخرون هم الذين أضاعوه».

بأي وجه تقابل اليوم هذه الأرض؟ بوجه الرابع من يونيو/حزيران وكلك أنفة؟ أو بوجه الخامس من يونيو/حزيران وكلك انكسار؟ أم تُرى تقابلها اليوم بوجه

اليوم وأنت لا تدري اليوم إلى أين أنت ذاهب. أثر الأصابع بصمةٌ في وجه من عرف الكرامة. هكذا كان إحساسي وقد ألقيت بجيل «النكسة» داخلي في طريقي إلى مسارح الأحداث في سيناء التي «يقولون» إنها عادت إلينا. في كل زاوية جمجمة وفي كل اتجاه بقايا هيكل عظمي. يحوطني الأعراب وأنا أنبش رمال سيناء فتشتبك أصابعي بعظام شهداء الكرامة، لكن أذني كانت لا تزال لدى أفواه قتلة آبائنا، إخوتنا، أبنائنا، ولدى شهودهم.

من تحدي المعركة إلى تحدي السلام إلى هذا التحدي الغريب السخيف المؤسف الوقح في آنٍ معاً: **قاتل أبيك يتبجح بجرمه أمام أنفك وأنت، من بعد ذلك، في انتظار أن يتعاون معك على إدانة نفسه.** ما أرخص الدم العربي، وما أشبه اليوم بالبارحة!

في ذلك المكان، بالقرب من مطار العريش، يقول لنا الذي رفض التصوير، غابرييل برون من سلاح الإشارة الإسرائيلي عام ١٩٦٧:

«... صباح السابع من يونيو/حزيران رأيت في مطار العريش بين مئة وعشرين ومئة وخمسين جندياً مصرياً مطروحين أرضاً مكبلين من الخلف.

بين الحين والآخر يُدفع واحدٌ منهم للاستجواب أمام طاولة يجلس إليها رجلان ملثمان.

بعد استجواب أحد الأسرى رأيت جنديين إسرائيليين يقتادانه لمسافة مئتي متر نحو الصحراء.

أعطاه أحدهما جاروفاً، فبدأ الأسير المصري في الحفر.

بعد خمس عشرة دقيقة أطلق الإسرائيليان رصاصتين داخل الحفرة. جيء بأسير آخر أُفرغت في رأسه رصاصتان أخريان في الحفرة نفسها، ثم جيء بأسير ثالث وأُمر بردم الحفرة. رأيت خمسة أسرى يُفعل بهم الشيء نفسه.

قبل ذلك بقليل كنت قد سمعت عشر طلقات نارية، فهمت منها أن خمسة آخرين قُتلوا بالطريقة نفسها».

الرسول (ص) وعبد الناصر وأم كلثوم

هؤلاء الذين تربوْا على فلسفات الغرب لا يحترمون عدواً ضعيفاً خانعاً. والضعيف الخانع هو من له حق ولا يصر على حقه، ونحن لنا عندهم ألف حق وحق وما كنا بأمة ضعيفة خانعة، بل كنا خير أمة أُخرجت للناس.

سيقولون: ها نحن أبناء عم،
سيقولون: جئناك كي تحقن الدم..
كن يا أميرُ الحكم.

قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك،
و اغرس السيف في جبهة الصحراء إلى أن تجيب عليك
الجماجم والجثث
كيف تخطو على جثة ابن أبيك؟
و كيف تصير المليك
على من حكموك؟
كيف تنظر في عيني امرأةٍ
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟!

لو كان لحبات الرمال في سيناء أن تتكلم لما استطعت أنت أن تستمع. كان أبطالنا الذين وقعوا في الأسر عام ١٩٦٧، أبطال هذا التحقيق، قد وصلوا إلى المرحلة الثانية من بين مراحل ثلاث يحللها بعين الخبير هذا الضابط المصري، حسين يونس، ويؤكدها جنود وضباط آخرون لا يعرف بعضهم البعض الآخر.

ح.ي: بعد ذلك علمت أن تعامل الإسرائيليين مع الأسرى المصريين مر بثلاث مراحل. في المرحلة

الأولى كانوا يقتلون كل من يصادفهم في طريقهم سواء استسلم أو لم يستسلم، وعندما بدأت الأمور تتضح لهم وأدركوا أنهم ينتصرون بدأوا في المرحلة الثانية في اصطياد الأسرى بصورة انتقائية كي تكون لديهم ورقة ضغط فيما بعد. وقد تطور ذلك إلى المرحلة الثالثة التي وجدوا أثناءها أن لديهم فائضاً من الأسرى صار جانب منه عبئاً عليهم فأخذوا يطلقون سراحهم واحداً تلو الآخر في زوارق تعبر قناة السويس إلى الجانب الغربي مقابل بطيخة عن رأس كل منهم توضع على ظهر الزورق العائد. العسكري ببطيخة.

ر.ع: شحنونا في عربات نقل الحيوانات. كان منظرنا تماماً كمنظر الحيوانات مكدسين على أرضية العربة وأصابعنا متشابكة وراء رؤوسنا المنكسة. ساروا بنا ساعات طويلة في الصحراء، وأثناء ذلك بلغ الإرهاق منا مبلغه فارتخت يدا أحدنا رغماً عنه فأتته في التو رصاصة في رأسه أردته قتيلاً بيننا. لم يتحرك أحد

ولم ينبس ببنت شفة حتى وصلنا أخيراً إلى بئر سبع.

أ.ع: وفي بئر سبع، يوم ١٨ ويوم ١٩ يونيو/حزيران، كانوا يجمّعون الأسرى من كل مكان تمهيداً لترحيلهم. أتوا بعشر شاحنات كبيرة حشدوها بالأسرى ومن لم يجد لنفسه مكاناً في شاحنة قتلوه في مكانه في بئر سبع. وكان موشى ديان حاضراً. رأيته بعيني والجنود الإسرائيليون يحملونه ويقذفون به إلى الهواء مثلما يفعل لاعبو كرة القدم بالمدرب عقب الفوز بمباراة.

ح.ي: لما نزلت من العربة كنا في وسط صفين من العساكر الإسرائيليين يضربوننا «بالشلاليت». ثم تنظر حواليك فتجد دوائر كبيرة كأنما تحولت الصحراء إلى معمل «كُنافة» مصنوعة من الجنود المصريين المطروحين أرضاً على بطونهم ووجوههم. كان العدد الذي رأيته مرعباً، حوالى ثلاثة آلاف في مكان واحد وكانت الأضواء

الكاشفة تحوّل الليل إلى نهار فيما كانت الرشاشات الإسرائيلية لا تتوقف عن إطلاق رصاصها على مستوى منخفض فوق رؤوسهم بحيث لا يجرؤ أحد على رفع رأسه عن الأرض.

في هذه الأثناء كان الذي كان يومها لواءً، الفريق المتقاعد سعد الدين الشاذلي، قد قطع سيناء كلها في يوم وبضع يوم بألف وخمسمئة رجل ولم يخسر من رجاله ومعداته سوى حوالى عشرة بالمئة. وفي هذه الأثناء كذلك كان الإسرائيليون قد تمكنوا من المدنيين المصريين في سيناء. وفي كبرى مدنها، مدينة العريش، ارتكبت شراذم إسرائيل بعضاً من أكثر فظائعها فظاعةً بحق آلاف من العزّل الآمنين. هكذا يحكي لنا الحاج عبد الكريم يوسف الجعفري الذي تطوع وقتها للعمل مع الاستخبارات الحربية المصرية واستحق عن ذلك نوط الامتياز من الطبقة الأولى من الرئيس المصري حسني مبارك.

«قتلوا عسكريين ومدنيين أعلنوا استسلامهم.

جمعوا من هذه المنطقة وحدها ما لا يقل عن مئتين وخمسين مدنياً وأجبروهم على ركوب الشاحنات وحتى اليوم لم يعد منهم أحد».

في الصحراء الممتدة جنوب العريش التقيت بعدد من البدو وسكان الأحياء النائية. تتشابه قصصهم في كثير من التفاصيل. يقول خلف المنيعي: «مشينا مسافة كيلومترين خارج البلد فالتقطتنا الطائرات الإسرائيلية وحامت فوق رؤوسنا وأمطرتنا بالمنشورات المكتوبة باللغة العربية. كان عمري عشر سنوات وكنت أعرف القراءة والكتابة، فقرأت على أسرتي وجيراني ما كان مكتوباً في تلك المنشورات: (ارفعوا الرايات البيضاء وعودوا إلى منازلكم، جيش الدفاع الإسرائيلي لن يفعل لكم شيئاً)».

«مسكوا الفرد وأوسعوه ضرباً بعدد شعر رأسه»، هكذا كانت النتيجة كما يتذكر الحاج عبد الكريم يوسف الجعفري، «يعني مثلاً أنا نفسي كسّروا على جسمي ثماني هراوات غليظة ثم أطفأوا سيجارة مشتعلة

في سُرّتي لا تزال آثارها في بطني حتى اليوم، وعندما لم ينفع ذلك أعطوني حقنة تسببت في انتصاب أعضائي التناسلية ثم أمسكوا بي وأجبروني على وضع قضيبي على طاولة وأخذوا يضربونني بالهراوات عليه».

و يذكر شاهد عيان آخر من البدو اسمه غنايم حميد أنه رأى بعينيه في اليوم الثاني من المعركة «مجموعة من الجنود المصريين يقترب عددها من العشرين كانت ترفع الرايات البيضاء عندما أدركتهم طائرة إسرائيلية، لكن هذه الطائرة مرت عليهم بالرصاص فقتلتهم جميعاً وهم في أماكنهم. كما رأيت في نفس اليوم حوالى اثني عشر جندياً مصرياً أمرتهم دورية إسرائيلية بالوقوف صفاً واحداً ثم قتلتهم جميعاً رمياً بالرصاص وتركتهم».

ح.ي: في المعسكر الجديد في بئر سبع جاءنا قائده، وهو ضابط يشبه إلى حد بعيد ضباط النازية بقامته القصيرة ونظرته الثاقبة ونظارته التي كنت أراها في أفلام الغستابو. كلماته قليلة لكن إشاراته تتحول في

لحظات إلى قرارات. بدأنا نشكو له سوء المعاملة فأمر بتقسيمنا إلى قسمين، ضباط وجنود، وبأن تقام للضباط خيمة ودورة مياه ميدانية عبارة عن حفرة في الأرض فوقها بطانية على هيئة خيمة مصغرة. أما الجنود فلا.

ر.ع: وضعونا في قطار البضائع. عرباته مقفولة تماماً لا يوجد بها مقاعد ولا نوافذ ولا هواء على الإطلاق. حشروا في كل عربة ما لا يقل عن مئتين وخمسين فرداً فوق بعضهم البعض، بلا تهوية ولا نفس، وقد رأيت بعيني بعض زملائي يموتون اختناقاً في الطريق.

أ.ع: وبعدها أخذونا في شاحنات مكشوفة خرجت بنا من بئر سبع في الجنوب. وطول الطريق على الجانبين كنت تجد المواطنين الإسرائيليين وأطفال المدارس يصفقون ويهللون ويقذفوننا بالزجاجات والقاذورات ونحن داخل الشاحنات لا حول لنا ولا قوة إلى أن وصلنا إلى معتقل عتليت في شمال إسرائيل.

ر.ع: طبعاً، فرحة، غنايم. الأهالي طلعوا علينا بالطوب وبالزجاج وبكل شيء... ضربوا فينا «الله ينوّر».

ح.ي: لما قربنا ناحية بوابة عتليت كان موجوداً عدد ضخم جداً من الشبان والشابات واقفين. استقبلونا بالطماطم وعلب المياه الغازية الفارغة وبالشتيمة. شتموا النبي محمد (ص) وأم كلثوم وطبعاً جمال عبد الناصر.. شتائم عنيفة جداً. أوقفونا مدة على هذه الحال أمام المعتقل، وما أن انفتحت البوابة ودخلنا حتى وجدنا أنفسنا في الجنة.

ر.ع: صرخوا فينا.. (على كل من يرتدي حذاءً أن يخلعه).. فخلعنا جميعاً أحذيتنا. أصبحت العلاقة علاقة آمر ومأمور. صرخوا بنا مرة أخرى وقسمونا إلى طوابير يتكون كل منها من خمسة أفراد (خميش خميش). ثم أمرونا بالمشي حفاة لمسافة كيلومترين على البازلت المدبب. كان منظراً في البداية مضحكاً وأنت ترى زميلك هذا يحاول المشي على كعبه

وزميلك ذلك على جانبي قدميه والثالث على قدم واحدة والرابع على أصابع قدميه والآخر يحاول المشي حجلاً. بعد خطوتين أو ثلاث لم يعد الأمر مضحكاً. كان مؤلماً، بل كان مأساوياً وكان الإسرائيليون يقصدون تعذيبنا دون أن يكون هناك سبب معقول لذلك.

أ.ع: عندما وصلت إلى المعسكر كان فيه أسرى قد سبقوني إلى هناك. وجدتهم جميعاً ينزفون دماً من أقدامهم وهم يمشون. ولم أكد أشعر بالأسى لحالهم حتى أمرني جندي إسرائيلي بخلع حذائي والمشي على هذا الشوك. ثم سألت بعض الأسرى عن الأكل والشرب، فقالوا لا أكل ولا شرب. «عساكر مرمية، حاجة فضيحة».

ر.ع: في آخر النهار كنا نتضور جوعاً فأتوا إلينا ببنات في غاية الجمال شبه عراة كانت كل واحدة منهن تحمل جوالاً به قشر برتقال يافاوي قذفن بجوال أو

جوالين أمام كل عنبر. نظرنا إليه ثم نظر كل واحد منا إلى الآخر وفي ثوان معدودة كنا جميعاً نهجم عليه. أكلنا قشر البرتقال.

أ.ع: عنبر كبير مساحته حوالى مئة متر مربع وفي كل عنبر ما لا يقل عن مئة أسير. كنا ننام على أرضيته متكورين ونغطي أنفسنا بظهور زملائنا، وعندما يطلع علينا النهار يأمروننا بالخروج إلى فناء المعسكر لقضاء اليوم كله تحت الشمس في عز الصيف. كان في المعسكر ثمانية عنابر للجنود العاديين ولم تكن هناك في المعسكر كله سوى دورة مياه واحدة.

ح.ي: حفرتان مثل حفرات الخنادق لكنهما ممتدتان أمام إحداهما الأخرى في الهواء الطلق وعلى كل منهما لوح خشبي ممتد به فتحات مدورة ثم يأتي الأسرى لقضاء حاجاتهم فيجلس كل واحد منهم فوق إحدى الفتحات. وبهذا المعنى فإن كل أسير مصري رأى عورة بقية زملائه الأسرى مثلما رأوا هم

عورته، وخصوصاً أن الفترة الزمنية التي كان يُسمح فيها للأسرى بقضاء حاجاتهم كانت فترة محدودة.

أ.ع: نعم، لوح خشبي طويل به خروق. دورة مياه واحدة مكشوفة للعنابر كلها، وصنبور مياه واحد يشرب منه الأسرى كلهم. الصنبور معلق في الهواء وأنت ترفع رأسك للوراء وتفتح فمك هكذا كي تستقبل قطرات الماء في جوفك.

ح.ي: قس على هذا كل شيء؛ فبالنسبة للأكل مثلاً كانوا يأتون بالإناء الضخم، بعد أن يتضور الناس من الجوع، ويتركونه وسط الأسرى جميعاً فيهجم هؤلاء بطبيعة الحال على هذا الإناء الوحيد، والبقاء للأقوى. من يمسك بشيء يأكله ومن لا يمسك يجوع.

ر.ع: خبز أجنبي من نوع «التوست» كان نصيبنا رغيفاً واحداً لكل اثني عشر أسيراً.

ح.ي: في البداية كانوا يقصدون أن يضعوا علينا ضغوطاً في منتهى القسوة تؤدي إلى إلى السحق النفسي والذل والشعور بالدونية.

أ.ع: جاء دورنا في عملية الاستجواب. كانوا يأخذون الأسير ويعرفون منه اسمه وسلاحه و عنوانه وتعليمه.. إلى آخره، ثم يأخذون منه عينة دم. بعض الذين أُخذت منهم عينات الدم هذه لم يعودوا.

ح.ي: كانوا يضعون تصنيفاً تفصيلياً لقطاعات المجتمع المصري. جزء من ذلك يندرج تحت أهداف العمل الاستخباري، والجزء الآخر كان محاولة للإلمام بطبقات ومحاور واتجاهات المجتمع المصري بشكل عام. ما دخل عينات الدم بهذا؟! لست أدري!!

أ.ع: أتهمهم بالتجارة في أعضاء الأسرى المصريين. أتهمهم رسمياً لأن أحد زملائي، واسمه رمضان محمد رمضان من البحيرة، كان يتناول الطعام معي

ثم اصطحبوه لأخذ عينة دم وفي اليوم التالي عاد إلينا وفي جنبه أثر لفتحة جراحية وهو لم يكن مريضاً ولا كان يشكو من شيء. وبعد أيام قليلة أخذوه مرة أخرى ومن يومها لم يعد.

ر.ع: جاءنا ممثلو الصليب الأحمر ومعهم صناديق فيها هدايا من أهالينا في مصر، لكن الإسرائيليين لم يسمحوا لنا بالحديث إليهم إلا بعد وقوع المظاهرة.

أ.ع: كانت قد حدثت لي مشكلة مع الحراس؛ إذ حاول أحدهم أن يمد يده عليّ فأمسكت بها وضربته. كانت كرامتي فوق كل شيء وكنت أعلم أنهم سيعاقبونني على ذلك.

ر.ع: أما المشكلة الكبرى فقد وقعت عندما أحس أحد الأسرى بالعطش فحاول أن يمد يده من خلال شباك العنبر كي يتناول بعض الماء فأطلق الحارس رصاصة في ذراعه. سمع الآخرون هذا الطلق الناري وانتشر

الخبر كالهشيم بين العنابر فخرج سكانها جميعاً (حوالى خمسة آلاف أسير) في مظاهرة حاشدة داخل أرجاء المعسكر بدأت من حوالى التاسعة مساء ولم تتفرق إلا قرب الفجر بعدما أتى الإسرائيليون بأقدم ضابط بين الأسرى الذي وقف أمامنا هاتفاً: إخواني الأسرى المصريين، أنا اللواء صلاح ياقوت، نرجو الهدوء وكل طلباتكم ستنفذ، ومعنا هنا مندوبون عن الصليب الأحمر ومعنا وزير الدفاع موشى ديان ومعنا رئيس الوزراء ليفي إشكول وسنمر عليكم في كل عنبر للوقوف على طلباتكم.

ح.ي: من بين أساليبهم أنهم كانوا يأتون إلينا بمحاضر أعمى يحدثنا عن صلة القرابة بين العرب واليهود وعن العلاقة بين اللغة العربية واللغة العبرية ويأتي إلينا في سياق ذلك بأمثلة من اللغتين.. واحد يعني آحاد وخمسة يعني خميش وثمانية يعني شموني وسلام يعني شالوم، إلى آخره. ثم يجهش في البكاء قائلاً: إحنا نفسنا نعيش في أمان ونفسنا نعيش في

سلام. وبالطبع لا بد أن يترك هذا الكلام أثراً في ذلك الأسير البسيط الذي هيأوه نفسياً من بداية الأسر حتى تلك اللحظات عبر سسلسلة معقدة من التعامل الاستخباراتي.

بدأت أتفرس في ملامح هذا الضابط المصري وهو يحلل الآن بعين الخبير ما حدث له ولزملائه قبل أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً. يستطيع الآن أن يتكئ إلى الوراء ويرى الأمر كله من منظور أوسع. سألته أن يذكر لي حالات بعينها من ضحايا أساليب السيطرة النفسية الإسرائيلية. أطرق قليلاً ثم بدأ يحكي: «بعدما عدنا من الأسر اصطحبنا المسؤولون المصريون إلى مبنى الكلية الحربية ثم تركونا قليلاً، وأثناء ذلك وقف أحد زملائنا الأسرى، وكان طبيباً، وشرع في الصلاة وعندما انتهى من صلاته رفع يديه إلى السماء قائلاً: (هي دي عمايلك يا ظالم)، وانفجر في حديث غاضب إلى الله». يبتلع الضابط المصري، محمد حسين يونس، شهقة عنيفة تلتها زفرة مكتومة ويطرق إطراقة طويلة قبل أن يستطرد:

«مش واحد بس. كل الأسرى بلا استثناء عندهم مشاكل نفسية، بمن فيهم أنا بالطبع. أنا لا أقبل على سبيل المثال أن يمد أحد يده الآن ويسحب سيجارة من علبتي. وعلى فكرة أنا مش بخيل. أنا أديله العلبة كلها، لكن يأخذ سيجارة من علبتي من غير إذني؟ لأ. ولما فكرت في الموضوع وجدت أن هذا من آثار ما حدث لي لحظة الأسر عندما خطف ذلك الضابط الإسرائيلي نظارتي من فوق عيني ولم أستطع أن أدافع عنها. مشاكل نفسية كثيرة جداً. مشاكل مش ممكن سيادتك تتصورها».

الطريق إلى ٦٠ هولوكست عربية

لا تتعلق قضية أسرانا في حروبنا مع إسرائيل بما مضى بقدر ما تتعلق بما هو آت. إن لم تكن جهودنا لتزكية دمائهم إنصافاً لهم فلتكن مثالاً للوفاء نضعه أمام أجيالنا القادمة إذا ما هي اضطرت يوماً ما إلى حمل السلاح دفاعاً عن دينها وأرضها وكرامتها. من حق إسرائيل أن تحاول دائماً كسر شوكة الولاء في قلوب أبنائنا؛ ولهذا فإنها لا تريد حتى أن تقدم لنا اعتذاراً شفهياً، لكنّ من حقنا – ولو أحيانا – أن نقاوم. أوَ ليس الصلح إلا

معاهدة بين ندّين في شرف القلب لا تنتقص؟!!.. غاية المنتهى أن سيفاً أتاني من الخلف رأيته أنت و لم تهتف بي محذراً سوف يجيئك من ألف خلف. فحين يتحمس عدوك للدفاع عن حقوقك أكثر من حماستك أنت للدفاع عن حقوقك، وحين تغض أنت الطرف طوعاً عن حقوقك التي اعترف لك بها عدوك لأنك تتطوع بالظن أن حماستك للدفاع عن حقوقك ربما تغضب عدوك، فلا بد أن ثمة شيئاً غير صحيح في طبيعة العلاقة وفي قوانين الطبيعة.

إذا كان جانب من الإسرائيليين يستحق اللعنة فإن جانباً آخر يستحق الشكر. فقط عندما فتش موتي غولاني في الوثائق السرية لوزارة الدفاع الإسرائيلية عام ١٩٩٤.. فقط عندما اهتمت بالموضوع بعدها بعام كبريات الصحف الإسرائيلية بدأنا نحن نتحرك. أم تُرانا تحركنا؟!

«أتدري شيئاً! لقد أثار رد الفعل المصري فضولي.

لديّ إحساس بأن الذي ضايقهم لم يكن حقيقة أن جنوداً إسرائيليين قتلوا أسرى حرب مصريين. لقد كانوا على علم بذلك، ولم يكونوا بحاجة إليّ أو إلى أي أحد آخر كي يخبرهم به. إننا – نحن الإسرائيليين – مازلنا نبحث عن جثث جنودنا ورفاتهم في حرب ٤٨، وهو شيء لا تجد مثيلاً له في العالم العربي، فماذا إذاً عساه يحدث لو طالب الشعب المصري حكومته بالبحث عن ذويه؟ ولذا لم ترغب الحكومة المصرية في سماع المزيد، وإنما قالت للحكومة الإسرائيلية: (حسناً، أعطونا تقريراً تعترفون فيه بأنكم أشرار وبأنكم أخطأتم، ودعوا الأمر ينتهي)».

اتصلنا بالسفير المصري في تل أبيب، محمد بسيوني. طلبوا أسئلة مكتوبة عن طريق الفاكس. بعثنا بها، ثم اتصلنا مرة أخرى. جاءنا الرد اعتذاراً عن عدم الحديث.

«هو نوع من العجز»، هكذا يقرر زعيم المعارضة المصري، ياسين سراج الدين، وهو يستطرد مندهشاً: «لو كنت مكانه لكنت أمسكت برباية وجعلت من

الأمر موالاً أطوف به العالم كله كي أحركه ضد إسرائيل على هذه الفعلة الشنعاء. إنما أنا أعتقد أنهم يطبقون المثل العامي (الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح). هو نوع من العجز.. العجز».

في اجتماع في مجلس الشعب المصري ضم أعضاء ثلاث لجان هي لجنة الشؤون الخارجية ولجنة الأمن القومي ولجنة الشؤون العربية سأل سراج الدين وزير الدفاع المصري، حسين طنطاوي، عن حقيقة ما حصل. «تأثر الرجل وقال لي: (أنا آسف، لكن هذا السؤال يوجه إلى وزير الخارجية)». رفع زعيم المعارضة المصري طلب إحاطة إلى وزير الخارجية، عمرو موسى. «جاءني الرد في خطاب رسمي يقول: (بالنسبة لهؤلاء المجرمين فإن الحكومة الإسرائيلية تحقق في هويتهم.. أما موضوع التعويضات فهو موضوع محادثات بين الحكومتين)».

في المبنى الجديد المطل على نهر النيل كان لقائي

بالدكتور مصطفى الفقي مساعد وزير الخارجية المصري للشؤون العربية مندوب مصر الدائم لدى جامعة الدول العربية. كانت قهوتنا سريعة وكان حديثنا طويلاً. «نعم، القضية كما تفضلت ليست قضية دبلوماسية خالصة، ولكنها مسألة وطنية بالدرجة الأولى، ولا نستطيع تناسيها لأن الرأي العام لا ينساها. وبالتالي تحركت وزارة الخارجية المصرية من البداية على مستويين: أولاً على المستوى الوطني تشكلت لجنة من وزارة الخارجية ووزارة العدل ووزارة الدفاع لفتح الملف والبحث في خرق إسرائيل لاتفاقيات جنيف المعروفة. هذه الاتفاقيات تحفظ لنا حقوقاً دولية لا يمكن إنكارها، وإذا ثبت ما تردد في هذا الموضوع بشكل قاطع فسوف تتخذ مصر من الإجراءات القانونية الدولية ما يجعل تطبيق هذه الاتفاقيات معطياً للأمور صورة أخرى وللوضع القانوني شكلاً مختلفاً. وثانياً على المستوى الإسرائيلي أدت جهودنا إلى قيام رئيس الوزراء الإسرائيلي، شمعون بيريس، بتشكيل لجنة في نهاية عام ١٩٩٥ لبحث هذا الموضوع. هذه اللجنة ظلت تبحث

- حسب معلوماتنا - من عام ١٩٩٥ إلى عام ١٩٩٨ وانتهت إلى تقرير يبدو أنه تقرير يثبت عدم وجود أدلة، وهذا متوقع طبعاً من الجانب الآخر، ولكننا لم نبلغ بهذا التقرير حتى الآن».

لم أكن أدري تماماً عندما غادرت مكتبه إن كان الدبلوماسي المصري اللامع، الدكتور مصطفى الفقي، لا يعلم حقاً بأمر هذا التقرير، أو أنه أراد أن يترك خط رجعة للخطاب الدبلوماسي بين مصر وإسرائيل بشأن هذه القضية التي يتفق هو نفسه معي على ضرورة التعامل معها من وجهة نظر قانونية أكثر منها دبلوماسية. ولا أنا أدري إن كانت الحكومة الإسرائيلية تتعمد تعرية موقف الحكومة المصرية أمام الشعب المصري لوجه الله. لكن الإسرائيليين، وهم يفعلون ذلك، يستحقون منا الشكر في قضية أشرف من أي حكومة تحترم نفسها، حتى إذا كان ما يفعلونه لوجه الشيطان. النتيجة على أية حال واحدة؛ فرغم أن نائب وزير الدفاع الإسرائيلي، إفرايم اسنيه، ينكر في حديثه إلينا معرفته بتفاصيل التقرير

الذي يقر بوجوده فإن الصحفي الإسرائيلي المطلع، عمير أورين، يؤكد هذه النتيجة مع فارق واحد مأساوي.

«توصل الجنرال المتقاعد، أهارون دورون، الذي عينه رئيس الوزراء آنذاك، شمعون بيريس، لكتابة التقرير إلى نتائج مشابهة لما نُشر، وهي أن ثمة أسرى مصريين أسيئت معاملتهم، وأن أفعالاً مشابهة ربما قام بها أيضاً المصريون ضد الإسرائيليين رغم عدم وجود دليل على ذلك. **رُفع هذا التقرير برمته إلى الحكومة المصرية، وهي حرة في الكشف عنه أو نشره إن شاءت**».

يلتمس رئيس تحرير جريدة «الأخبار» القاهرية، جلال دويدار، العذر بأن «ظروف الاحتلال والتطورات الدولية وانشغال مصر في استعادة أرضها وعوامل أخرى ساهمت – كما أجاب عمرو موسى – في الوصول إلى ذلك، لكن ملف القضية مفتوح ولم

تغلقه مصر وسيحين وقت إثارته مثلما سيحين وقت إثارة ملف ثروات سيناء التي نهبتها إسرائيل». وبالتالي، كما يؤكد الدكتور مصطفى الفقي، «لا علاقة لهذا الملف باحتمالات التسوية ومسيرة السلام. هناك ملفات أخرى كثيرة ستفتح؛ فإسرائيل استنزفت بترول سيناء وقامت بحفريات أثرية فيها، وقس على هذا في كل الأراضي العربية المحتلة».

في رده على هذه الإيعازات يأمل نائب وزير الخارجية الإسرائيلي، نواف مصالحة، أن تتخلى مصر عن هذا الاتجاه، «ولكن إذا أصرت الحكومة المصرية فأنصحها بألا تعتمد على الباحثين؛ فالباحثون لا يمكن أن يروا الأسرار الآن. هذه الأسرار مخبأة من الجانبين. إذا أصرت الحكومة المصرية فإنها تستطيع بحث ذلك مع المسؤولين الإسرائيليين، لا من خلال الباحثين».

لم أفهم تماماً ما قصده نائب وزير الخارجية الإسرائيلي عندما نصح الحكومة المصرية بالابتعاد عن

الباحثين بشكل عام إذا كان من بين هؤلاء من يعتمد على الحقيقة المجردة في إثبات وقوع شيء ما أو نفيه. هو في سياق ذلك يدعو الحكومة المصرية إلى الاقتصار على القنوات الدبلوماسية ولجان التحقيق التي تعينها الحكومتان. لكن من بين هؤلاء الباحثين يورام بنور، المحقق الصحفي في التليفزيون الإسرائيلي المستقل، الذي يقدم لنا صورة تشبيهية طريفة. «إننا هنا نرمز اختصاراً للجان التحقيق التي تشكلها الحكومات الإسرائيلية المختلفة بالحرفين (غ.ط.)، وهو تعبير غير مهذب يعني (غطى طيز)، أي أنه غطى على تهمة. تشكيل هذه اللجان معناه باختصار دفن القضية، وهو أمر ينطبق أولاً على لجان التحقيق في الشؤون الإسرائيلية الداخلية، فما بالك بلجان التحقيق في شأن من شؤون العلاقات الإسرائيلية - العربية. إنني أؤيد تشكيل لجنة تحقيق مستقلة رغم أن أن لدى الجهات الأمنية الإسرائيلية قلقاً من احتمال أن تؤدي نتائج التحقيق إلى تعريض حياة الأسرى الإسرائيليين في المستقبل للخطر. إننا نعيش بين جيران لهم تراثهم

وثقافتهم وقيمهم التي ينبغي علينا أن نحترمها؛ فإذا قتلنا ابن عرب في ظروف كهذه يكون علينا أن نذهب إلى عائلته بكل شجاعة وبكل شرف وبكل تقدير للمشاعر الإنسانية العربية واضعين في اعتبارنا أهمية قبول تسوية ما تؤدي إلى التراضي، وإن لم نفعل ذلك فنحن ساقطون».

من ناحيته ينظر الأديب الصحفي المصري، يوسف القعيد، إلى أبعد من ذلك. «أنا أرى أن يتم تحريك الأمر على مستوى المحاكم الدولية، وأن تقوم لجنة شعبية مصرية تتبناها نقابة المحامين أو منظمة حقوق الإنسان في مصر أو أية جهة شعبية أخرى كي تصل بجهودها إلى المدى الأخير. وأنا واثق من أن هناك الكثير من عائلات الأسرى والمفقودين المصريين ساكتة بسبب اليأس والإحباط، كما أنني واثق من أن انقسام المجتمع الإسرائيلي وشرذمته - اللذين يراد لنا أن نفهم أنهما من مظاهر الديمقراطية - ستصنعان أصواتاً إسرائيلية تقف بجانبنا وربما تقدم لنا ما يخدم هذه القضية».

«لا بد أولاً من توافر إرادة سياسية تؤمن بمصداقية وأهمية المطالبة بهذه الحقوق، وبأنها غير قابلة للمساومة تحت أي بند من بنود الحسابات السياسية»، هكذا يشترط المدافع عن حقوق الإنسان المصري، حافظ أبو سعده، «ولا بد ثانياً من أن يتحرك الرأي العام كي يضغط على حكومته من أجل المطالبة بمحاكمة المسؤولين عن هذه المذابح بما يؤدي إلى أن يقدموا اعتذاراً صريحاً للشعب المصري والشعوب العربية بشكل عام وتقديم التعويضات المناسبة لأسر الضحايا. هذه حقوق لا ينبغي التنازل عنها».

بشيء من هذه الروح، مؤمناً بأن له حقاً أُخذ منه عنوةً بالقوة، قرر الأسير المصري المنسي كغيره، أمين عبد الرحمن، أن يستعيده عنوة.. بالقانون. يقتات اليوم وأسرته الممتدة على فتات سيارة أجرة هو نفسه أجير عليها. أفلت بها ذات يوم من زحام القاهرة إلى زحام المحاكم، فأقام عام ١٩٩٥ دعوى قضائية أمام محكمة جنوب القاهرة بحق إسحاق رابين وأرييل شارون

والقاتل المعترف إريـيـه بيرو. لكن دعوى أمين عبد الرحمن رفضت على الفور، كما رفض غيرها، بحجة عدم الاختصاص. قضيته الآن بين يدي الله، ومعذّبه بين يدي الشيطان، وهذه الدعوى بين يدي الدولة. للدولة وحدها، كما قيل لنا، حق رفع مثل هذه الدعوى، تمثلها في ذلك هيئة قضايا الدولة التي هي بتعبير أكثر بساطة «محامي الدولة».

«بحكم مسؤوليتي كرئيس لهيئة قضايا الدولة آنذاك بدأت أستعد لاحتمال أن تطلب مني الدولة رفع مثل هذه الدعوى. قمت بتجميع كل ما يتعلق بالقضية بدءاً باتفاقية جنيف لعام ١٩٦٩ وتعديلاتها وكل ما نشر عن قضية الأسرى المصريين من شهادات وتحقيقات وأبحاث، وقمت بتكليف فريق بجمع كل الأحكام الدولية الصادرة بشأن قضايا مماثلة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية لإدراجها في متن الدعوى إذا لزم الأمر».

هكذا تطوع المستشار جمال اللبان، رئيس هيئة قضايا الدولة في مصر من عام ١٩٩٣ إلى عام ١٩٩٨، من

واقع حسه الوطني وحسه المهني دون تكليف من أحد. لكنه انتظر، ثم انتظر، ثم انتظر على أمل أن يتصل به أحد من الأدوار العلوية. مر أكثر من خمس سنوات نسي هو نفسه أثناءها أنه كان في انتظار مكالمة هاتفية.

أما إذا افترضنا أن هذه المكالمة الهاتفية لن تحدث أبداً فإن لدى نائب وزير الدفاع الإسرائيلي، إفرايم اسنيه، فكرة جيدة. «انظر! إذا أراد مواطن مصري أو أسرة مصرية رفع قضية على الحكومة الإسرائيلية أو على مسؤول أو ضابط إسرائيلي فليفعلوا ذلك. إنهم ليسوا مضطرين إلى الالتزام بتعليمات حكومتهم، وإذا كانوا يرون أن لهم حقاً فليسعوا إليه بأنفسهم. هذا قرارهم هم».

لكن الوزير الإسرائيلي، إذ يقترح تلك الفكرة، يعلم أنه يوعز في ثناياها بمزيد من التطبيع المدني غير المباشر؛ إذ سيكون على مواطن مصري يأخذ بهذا الاقتراح أن يقدم أوراقه إلى محكمة إسرائيلية. يؤيد هذا الاقتراح من وجهة

النظر القانونية النائب السابق لرئيس محكمة الاستئناف الإسرائيلية، المستشار زكي كمال، إذ إن «قضية إساءة معاملة الأسرى العرب لم توضع حتى الآن قيد البحث لدى القضاء الإسرائيلي. وفي رأيي أنها تقع ضمن خانة جرائم الحرب، وربما يجد القضاء الإسرائيلي منفذاً لتقديم هؤلاء المجرمين إلى العدالة حتى بعد مرور فترة زمنية طويلة على وقوع الجرائم».

هذه «الفترة الزمنية الطويلة» يبدو أنها المحك الفاصل الذي يتلاعب به الإسرائيليون في تناول هذه القضية التي وقعت أحداثها قبل أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً (حرب ٦٧) وقبل أكثر من أربعة وأربعين عاماً (حرب ٥٦) فيما يقولون لنا إن قانونهم يقول لهم إنه لا يجوز الحساب بعد مرور عشرين عاماً على وقوع الأحداث، وهو ما يعرف لديهم بقانون التقادم. غير أن المستشار جمال اللبان يقول إن هذا هو القانون الجنائي الإسرائيلي الداخلي الذي يحكم واقعهم هم، «أما نحن فبصدد اتفاقية دولية تنص على عدم وجود تقادم في ما يخص

جرائم الحرب بين الدول الموقعة على هذه الاتفاقية، ومصر وإسرائيل كلتاهما من بين هذه الدول».

و يذكّر الدكتور مصطفى الفقي الإسرائيليين بأن جرائم النازية ضد اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية لم تسقط بالتقادم. «كيف إذاً تسقط جرائمهم في الحرب ضدنا بالتقادم؟! هم أنفسهم لم ينسوا من قاموا ضدهم بأعمال عدائية أثناء الحرب العالمية الثانية، وحتى الآن مازالوا يتعقبونهم بالمطاردة القانونية والسياسية، فلماذا يحل لهم ما يحرَّم علينا؟!».

هنا لا يتمالك نائب وزير الدفاع الإسرائيلي، إفرايم اسنيه، نفسه حين وضعنا أمامه هذه المقارنة الوجيهة فانفجر فينا مهدداً: «أعتقد، بل أنصحك بالتوقف عن هذه المقارنة الغبية الشنيعة»، وحين أعدنا صياغة السؤال احمرت أوداجه وصرخ في نبرة حاسمة بالإنغليزية:

«OK ...Stop it now. NOW?!!»

«وشوف البجاحة»، يرد الدكتور أحمد الفنجري الذي شهد جانباً من فظائع إسرائيل أثناء العدوان الثلاثي عام ٥٦، «البجاحة أنه لا يزال حتى اليوم يبحث عن إيجارات دكاكين اليهود في الدول التي طردوا منها قبل ستين سنة ولا يهمه هؤلاء الذين ذبحهم وعذبهم قبل ذبحهم. هذه هي البجاحة بعينها».

و حتى في حدود القانون الإسرائيلي يلفت المستشار زكي كمال أنظارنا إلى نقطة هامة؛ فرغم أن هذا القانون يبرئ الجندي من المسؤولية القانونية الناجمة عن قيامه بتنفيذ الأوامر العسكرية الواردة إليه من رؤسائه فإن «هناك بنداً في القانون العسكري الإسرائيلي يسمى (الخط الأحمر) مؤداه أن للجندي الحق في عصيان الأمر العسكري إذا استشعر أن هذا الأمر يمكن أن يمثل جريمة حرب. وفي التاريخ العسكري الإسرائيلي أمثلة على رفض بعض الجنود تنفيذ الأوامر العسكرية التي كانوا يتشككون فيها و لم يجرؤ أحد على تقديمهم فيما بعد للمحاكمة».

و ينصحنا المستشار جمال اللبان، رغم ذلك، بتجاهل القانون الإسرائيلي جملة وتفصيلاً؛ فالمسؤولية الجنائية في رأيه «تقع على عاتق الحكومة الإسرائيلية لا على عاتق الجندي أو الضابط الذي خطط للجرم أو نفذه». وهو في ذلك يعتمد على نص المادة رقم ١٢ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩ التي تقول: «يقع أسرى الحرب تحت سلطة الدولة المعادية لا تحت سلطة الأفراد أو الكتائب العسكرية التي أسرتهم». ومعنى هذا من وجهة نظره أن «الدعوى سترفع ضد الحكومة الإسرائيلية سواء كان الجندي أو الضابط الذي ارتكب الجرم حياً أو ميتاً».

حتى الآن لم تقرر الحكومة المصرية مواجهة الحكومة الإسرائيلية، لا في ساحة دولية ولا في غيرها. كل ما حدث في أعقاب بث هذا التحقيق على قناة الجزيرة في الذكرى الثالثة والثلاثين لهزيمة يونيو ٦٧ مقال في الصفحة الأخيرة لجريدة «الأخبار» القاهرية يشتم فيه أحد كتاب السلطة في مصر جنود إسرائيل

وباحثيها الذين أمدونا بشهادات وأدلة ومعلومات موثقة تدين الموقف الإسرائيلي بقدر ما تؤيد الموقف المصري، وهو ما يساهم في إثبات قناعتي بأن مصر كانت دائما – ولا تزال – شيئاً وأن حكامها كانوا دائما – ولا يزالون – شيئاً آخر، بعكس ما يريد لنا كُتّاب السلطة أن نفهمه. بل إن رد الفعل الشعبي الجارف، سواء في مصر أو في سائر الدول العربية، أخجلني كثيراً وبث في نفسي اعتزازاً غامراً بعروبة من المؤسف أن القائمين عليها لا يرقون إلى مستواها. وحين نزلت قناة الجزيرة على رغبات المشاهدين وأعادت بث هذا التحقيق قامت الدنيا ولم تقعد في صحف مصر الحكومية وفي تليفزيوناتها التي لا تعد ولا تحصى فيما كان واضحاً أن أحدهم ضغط على زر واحد فانقلبت آلة الإعلام المصري على «الجزيرة» وسكان «الجزيرة» وكل من له علاقة بـ«الجزيرة»، ووسط هذا الغبار الكثيف الذي أضاف إلى شعبية قناة الجزيرة تضيع القضية نفسها ويضيع دم آبائنا لأن واحداً من أبنائهم أراد أن يضع زهرة على قبورهم فأوسع له الأعداء

أبواب القبور وأغلقها من كنا نظن أنهم أحباب.

فليرحم الله الذين ماتوا كي نعيش والذين أُذلوا كي تكون لنا كرامة.

ملحق الصور والـمستندات



الجنرال رافاييل إيتان يقلد الرائد إيرييه بيرو نوط الشجاعة.



إيرييه بيرو: «إن أي مصري ابن عاهرة كان يعلم عنا شيئاً كان يستحق الموت».

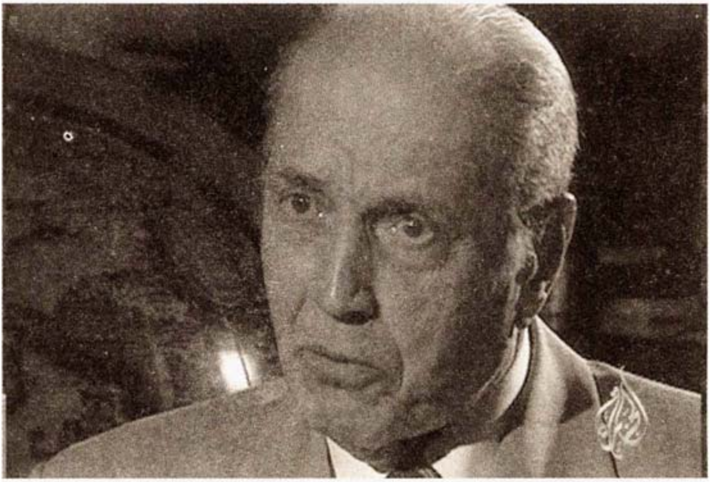


رافاييل إيتان اعترف بأنهم قتلوا الأسرى المصريين.



اللواء (وقتها) سعد الدين الشاذلي قائد «المجموعة الخفيفة رقم ١» في حرب ٦٧.

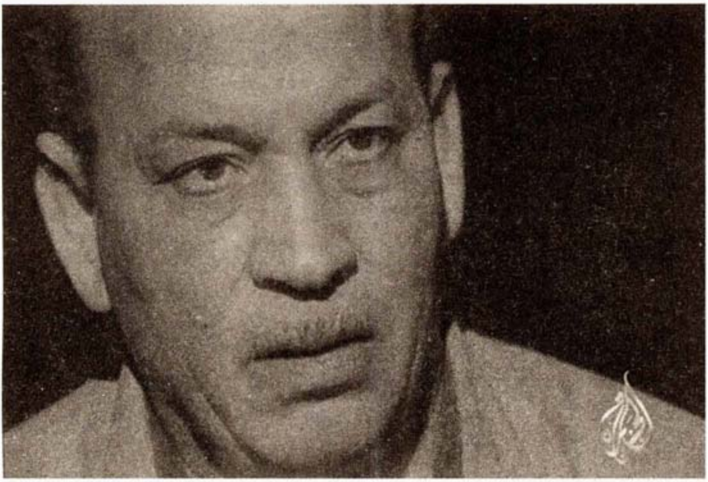




الفريق المتقاعد سعد الدين الشاذلي: قصة نجاح أثناء مأساة ٦٧.



الجندي رمضان عراقي قبل أيام من حرب ٦٧.



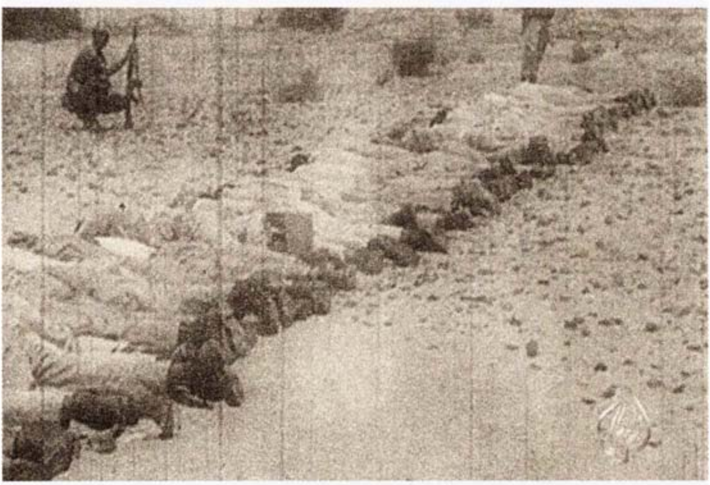
رمضان عراقي: «قرأت الفاتحة على روحي وشهدت أن لا إله إلا الله».



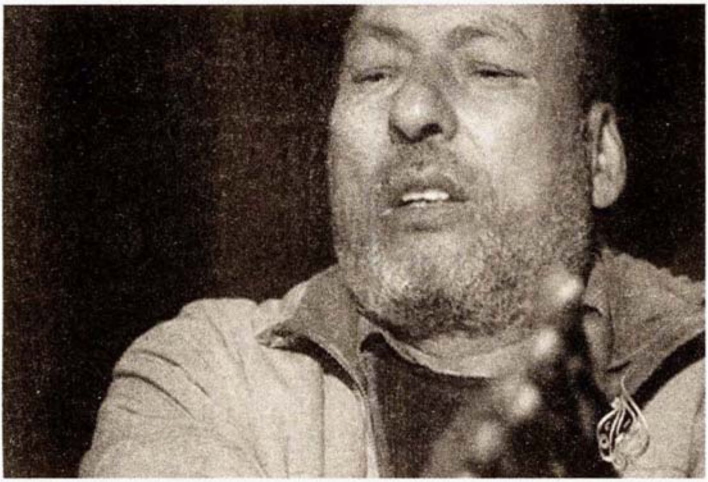
جندي مصري يرفع العلم الأبيض قرب العريش عام ١٩٦٧ .



أسرى مصريون منبطحون على رمال سيناء ١٩٦٧ .



«والدبابة تدوس على سطر. تدوس على بشر وتكسّر عظامهم».



صف ضابط أمين عبد الرحمن: «يضعون الأسير على صدر دبابة ثم تأتي دبابة أخرى كي تفرقعه».



أمين عبد الرحمن: «كل من قام لتسجيل اسمه ضربوه بالنار على الفور».



أسير مصري في طريقه إلى عتليت.



ضابط مصري أسير متورم الأوداج.



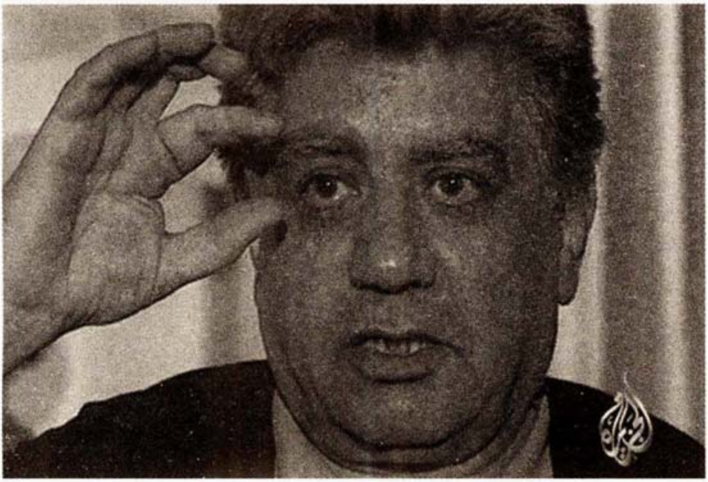
جنود إسرائيل يتلاعبون بأسير مصري بصورة مقززة.



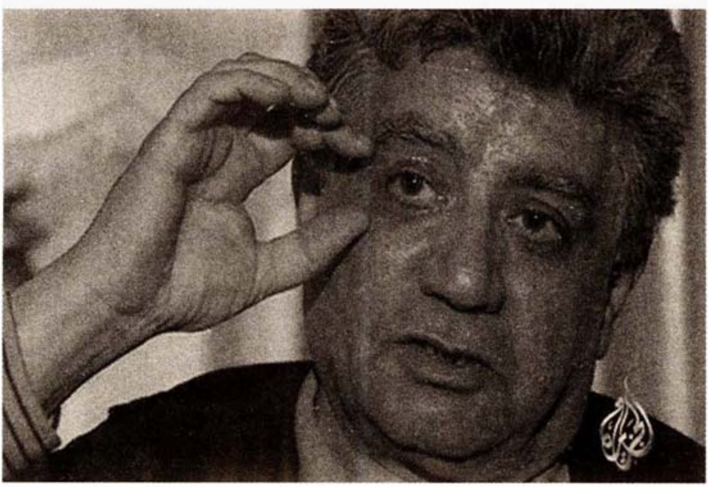


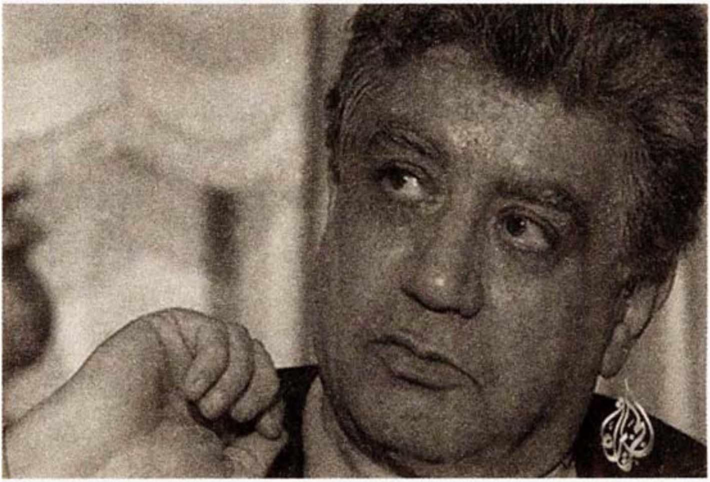


مدنيون من العريش وما حولها لم يسلموا من مكر الإسرائيليين.



النقيب محمد حسين يونس يشرح كيف وقع في أسر الإسرائيليين.



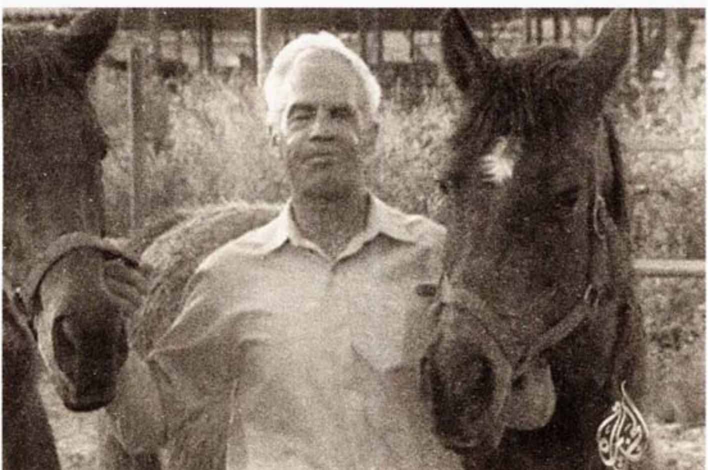


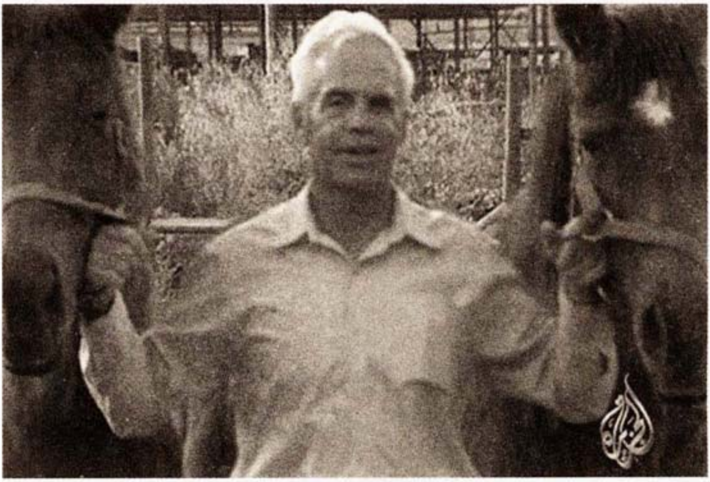


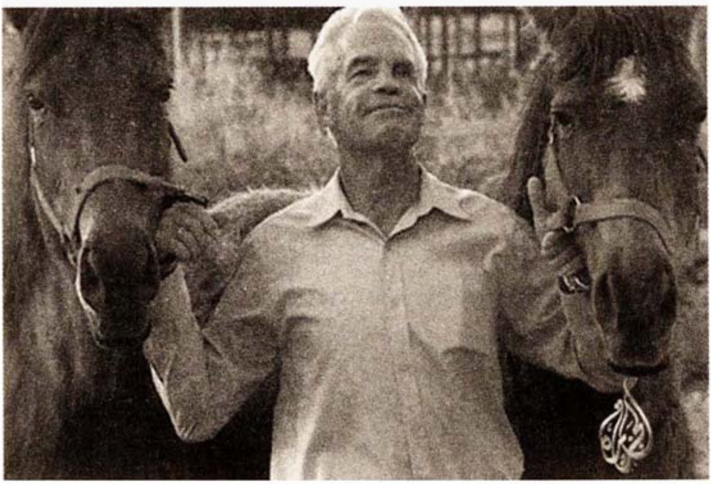
مذبحة غزة ١٩٥٦ كشفت السيول النقاب عن أبعادها.



العقيد داني وولف أحد أعضاء كتيبة المظلات التي قتلت أسرى مصريين أثناء عدوان ١٩٥٦.





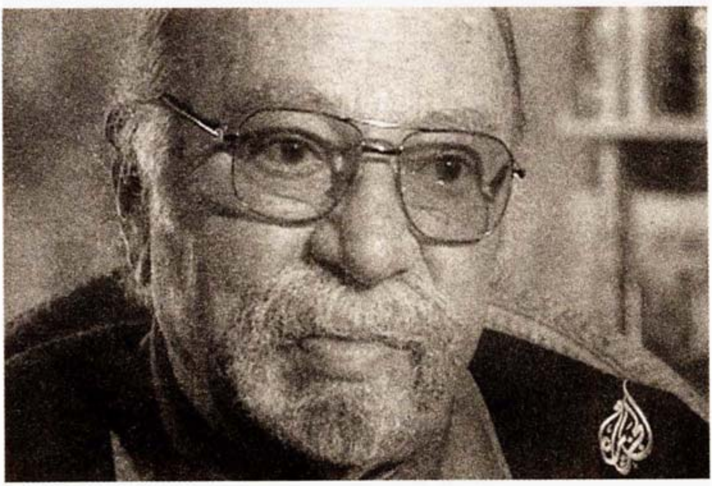






جانب من المدنيين المصريين الذين وقعوا في أسر الإسرائيليين أثناء عدوان ٥٦ .

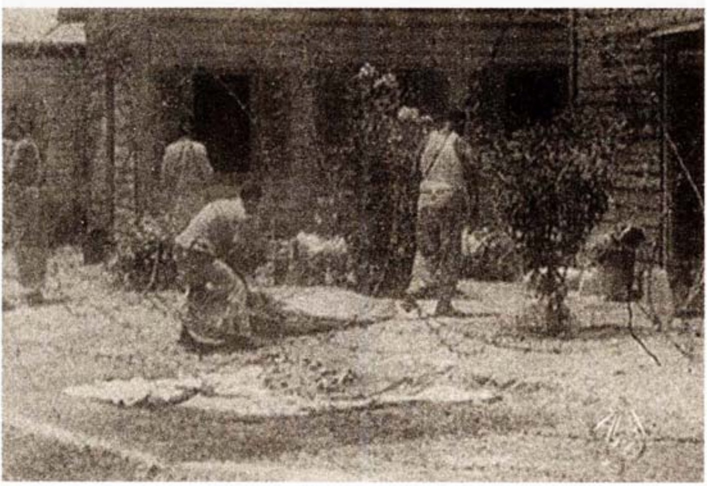


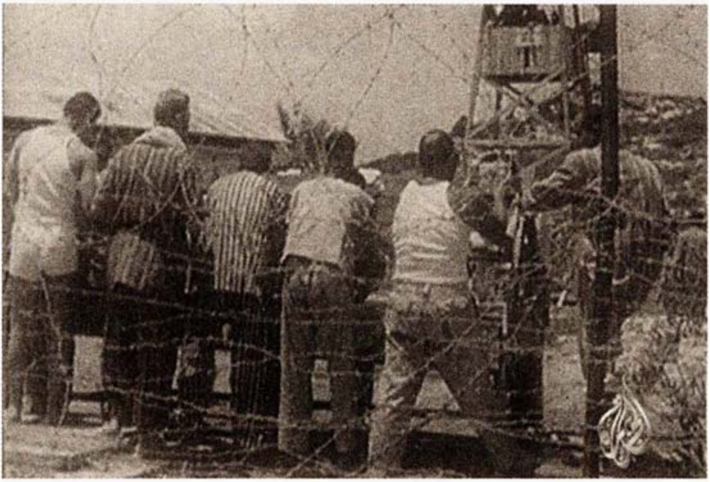


د. أحمد الفنجري شاهد عيان على مذابح غزة وخان يونس.



أسرى مصريون داخل معسكر عتليت ١٩٦٧.



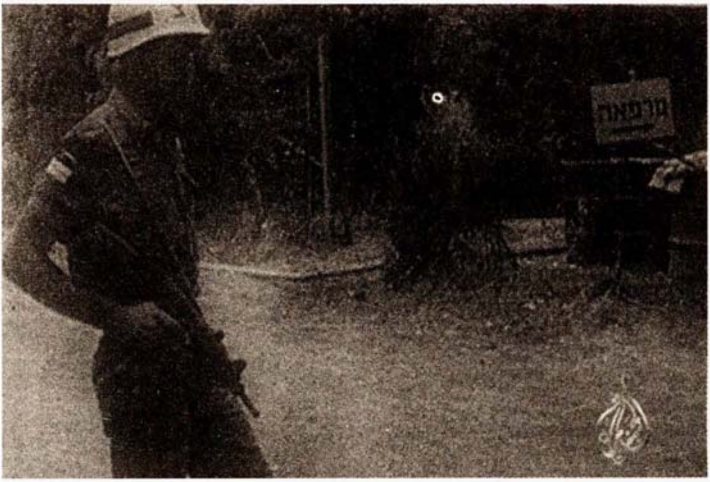


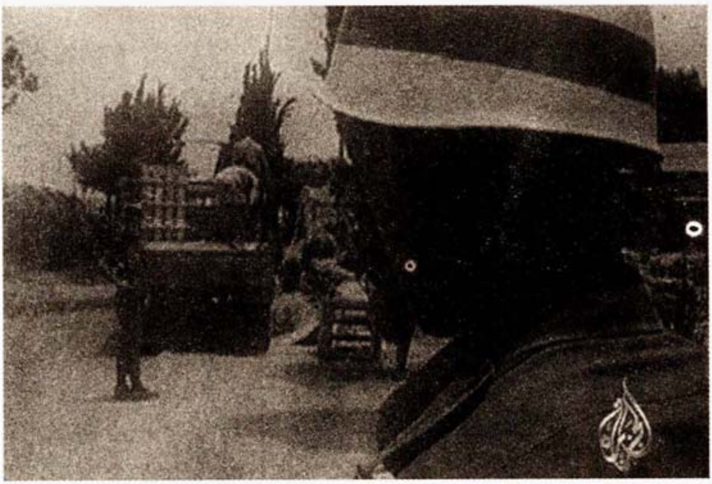
جانب من حوالى ٥ آلاف أسير مصري داخل معسكر عتليت في شمال إسرائيل.. هولوكست لم يلتفت إليها التاريخ.















مدنيون مصريون من العريش وما حولها في أسر الإسرائيليين.



الفهرس

أ

ب

سـرّي للغـايـة

الطريق إلى عتليت

مذابح الأسرى العرب في حربي ٥٦ و ٦٧



«مهما كان رأيي تجاه بعض البرامج التي تقدمها قناة الجزيرة، فإنني أعترف بأن هذا البرنامج عمل فني فريد في غاية الروعة والمصداقية، يستحق الإعجاب والتقدير والشكر».

جلال دويدار، جريدة «الأخبار»

«لقد ملّ المشاهد العربي من القنوات التليفزيونية التي تضحك على عقله، لكن مبادرة الصحافي يسري فوده تعيد إلى المشاهد احترامه لذاته، وتدعو الآخرين إلى اقتفاء دروب العمل الصحافي التليفزيوني الحقيقي».

نبيهة وطّاس، جريدة «الشرق الأوسط»

«اكتسب يسري فوده شعبيته بفضل جرأته على تناول الصعب، ولقد اهتز الضمير المصري والعربي أمام هذه الحقائق التي كشف عنها هذا الصحفي لأول مرة بالأدلة الدامغة».

مصطفى بكري، جريدة «الأسبوع»

«هذا البرنامج، وفق معايير العمل التليفزيوني المتفق عليها، يقف شامخاً في مقدمة الأعمال التليفزيونية العربية، بل إن له أن يحتل مكانة متقدمة بين الأعمال الغربية المشابهة».

د. حسن عبد ربه، جريدة «القدس العربي»

«لقد طعننا يسري فوده في قلوبنا، وأسال من عيوننا دمعاً متحجراً، وأعطانا درساً إعلامياً ليتنا نستوعبه، وإذا أراد عبد الرحمن حافظ أن يشاهد البرنامج فأنا على استعداد لإهدائه نسخة فوراً ليعرف الفارق بين يسري فوده والآخرين».

أحمد كمال الدين، «جريدة الوفد»

«شكراً كثيراً للإعلامي يسري فوده».

أحمد رجب، جريدة «الأخبار»

ISBN 9953-14-038-3

الدار العربية للعلوم
الكتاب